رجال الفيوم

مجموعة قصصية

زهراء جمال الوكيل

رجال الغيوم

زهراء جمال الوكيل

هَوِيَّةُ الكِتَاب

اسم الكتاب : رجال الغيوم

تأليف : زهراء جمال الوكيل

تصميم وإخراج : محمد ستار مدلول

الطبعة : الطبعة الأولى ٢٠٢٣ م - ١٤٤٤ هـ

القطع : A5

عدد الصفحات : ٧٢

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing
عناية بجودة عالمية

﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة يوسف: ٨٨

إهداء

إلى الذي تهتزُّ به أطراف الدنيا بهجةً وتهزُّ بهِ أغصان العز حين يظهر، الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغير.

شمسُ الظلام وبدرُ التمام، ربيعُ الأنام ونظرة الأيام، السراجُ الزاهر والنور الساطع، النجمُ الهادي، كهفي الحصين، ملاذي الآمن ومفزعي في الشدائد.

الماء المعين، الصبحُ المسفر، النجم الثاقب، من أقسم به ربُّ العزة في كتابه بالضحى.

إلى أمير الأمراء، السلطان المأمول، المنتقم الثائر المنصور.

وهوهلٌ ماشعٌ اوقيدمو في التوراة.

قائمٌ مهميد الآخر في الإنجيل.

كيقباد دوّمٌ عند المجوس.

موعودٌ منجيٌ مصلحٌ منتظر.

أهديكَ حروفي يا مولاي راجية منك القبول.

شكر وتقدير

شكرًا الله تعالى وشكرًا لمولاي صاحب الزمان ﷺ على توفيقي لإصدار مجموعتي القصصية الأولى، وأرجو أن لا يُستبدل بي غيري في قابل الأيام لأكون دومًا شاهرةً قلمي في وجه الحروب الناعمة.

ثمَّ شكرًا لأبي الذي ما فتئ يسأل عن موعد إصدار مجموعتي القصصية قرابة المئة مرّة واللهفة تملأ عينيه.

شكرًا لأمّي التي غذّتني طاهر اللبن، فبفضلها وفضل أبي توقّدت جمرة حبّ أبي صالح المهديّ ﷺ في قلبي لتتفجر على أثرها حروفي بين أيديكم.

شكرًا لزوجي، قارئي الأول الذي ساندني وشجّعني باستمرار.

شكرًا لإخواني وأخواتي، مَن قال في حقّهم الباري تعالى في كتابه: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، فكانوا لي نِعم العضد في مطبّات الحياة، وأوقدوا لي أصابعهم شموعًا في دجى أيامي.

شكرًا لصديقاتي، النعمة والرزق العظيم، أكرمني بهنَّ وليّ كلّ نعمة؛ ليكنَّ ذخيرتي في الطريق الشائك، الأنيسات العزيزات:

القاصة زينب ناصر الأسديّ

الأستاذة رقية تاج

الكاتبة تسنيم الحبيب

الكاتبة مروة حسن الجبوريّ

علّمنَني ووجّهنني ورافقنَني في رحلة إصداري البكر، وبذلوا وقتًا وجهدًا بالغًا لتخرج مجموعتي القصصية بهذه الحلّة.

شكرًا للأستاذين: الروائي عليّ حسين عبيد، والناقد والأكاديمي الدكتور عمار الياسريّ عضو الهيئة الإدارية في الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العراقيين فرع كربلاء، على إبداءهم آرائهم القيّمة.

شكرًا للمدقّقة اللغوية الأستاذة رحاب جواد القزويني.

شكرًا لكلّ مَن أسهم في هذا العمل المبارك.

دُرُوب سُكريّة

كان الجوّ غائمًا ينذر بهطول صاخب، اصطففنا كجيشٍ عسكريّ مُدرّب، كلّ واحدةٍ منّا تشبه حبّة الرمّان الملتصقة بالأخرى نمثّل زخرفة الاتّحاد وائتلاف القلوب.

ابتدأتُهم قائلةً: سأحملها، لقد عزمتُ على ذلك، أعلم أنّ حجمها أضعاف حجمي، ربّما لو أغمضتُ عينيّ وتخيّلتُ صغيراتي كيف سيسعدنَ بحبّة السكّر هذه لخفَّ ألم ثقلها عن كاهلي، هدفي هو إطعام صغيراتي.

أسدل الليل ستاره والجميع نيام، لكن هذا لن يردعني، فكلّما وجدتُ حبّة سكّر أسرعتُ إلى حملها ونقلها على الفور من دون مماطلة لأُؤمّن مخزونًا لأسرتي، فأنا لا أدري متى سأرى حبّة سكّر ثانيةً، فعليّ بانتهاز الفرصة قبل فوات الأوان؛ لأنّها تمرُّ مرَّ السحاب.

لقد علّمتُ ودرّبتُ جميع أفراد المستعمرة على الجدّ والنشاط وتحقيق الأهداف والعمل الدؤوب وترتيب الأولويات، وتحمّل الأثقال من أجل أن نحيا بسعادة، وأنا فخورةٌ بهم، لكن هناك هواجس تؤرّقني، فطموحي أكبر من تدريب جيش من النمل، حلمي أن أرى جميع سكّان الكرة الأرضية ينعمون بالسلام والسعادة.

في تلـك الليلـة كان الظـلام دامسًـا، أمسـيتُ أسـير كالعميـاء، أتلمّـس بقدميّ المكان علّني أستشعر حبّة سكّر، وفجأةً أشرق المكان بنورٍ ساطع حتـى إذا أوقـد أحدهـم عشريـن سراجًـا لمـا ضاهـى الضيـاء المنبثـق.

أبـصرتُ نـورًا لم أره في حيـاتي، ظننـتُ أنّ الشـمس قـد بزغـت وحـلّ الصباح، رفعـتُ رأسي فرأيتُ القمر مـا يـزال متألّقًـا، فأدهشـني أنّ النور كان يشـعّ مـن رجـل أربعينـيّ وجهـه البـدر المنير آيـة الجـمال، متّـزر ببردة، متّشـح بأخـرى قـد كشـف عطـف بردتـه عـن عاتقـه، غـارت عيناه مـن البـكاء، بيـده سـجلّات يتصفّحهـا وهـو مسـتند إلى الجـدار، كأنّ سـهمًا قـد أصـاب قلبـه أو حجـرًا قـد كسـر ظهـره، يئـنّ ولا أدري مـن أيّ شيء ألمه، اسـتحوذ حبّه عـلى كيـاني منـذ الوهلـة الأولى مـن رؤيتـه.

حزنـتُ عليـه وسـمعتُه يخاطـب السـجلّات قائـلًا: أحسـنتَ يـا سـليم، سرّني عملـكَ، شـكر الله سـعيكَ.

لِمَ قصّرتَ يا سعيد؟ غفر الله لكَ.

إنّ قلبي لمحزونٌ لحزنكِ على وفاة أبيكِ يا ليلى...

إنّ يدي تؤلمني كأنّ الرصاصة التي أصابت مازن أصابتني..

اللهمّ فكَّ أسر جاسم، وارزق جعفرًا رزقًا حلالًا مباركًا...

اللهمّ آمين لكلّ دعاءٍ من دعواتِ شيعتي...

ثـم مـدَّ يـده إلى جيبـه وأخـرج صفيحـة ودواة وشرع بالكتابـة وهـو يقـرأ مـا يكتـب: «...إنّـا يحيـط علمنـا بأنبائكـم، ولا يعـزب عنّـا شيء مـن أخباركـم... إنّـا غـير مهملـين لمراعاتكـم، ولا ناسـين لذكركـم، ولـولا ذلـك لنـزل بكـم

اللأواء واصطلمكم الأعداء...فليعمل كلّ امرئ منكم ما يقرب به من محبّتنا وليتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة...».[1]

بدأت السماء تنثر رذاذها مثيرةً ابتسامة الحقل العطِش، نظرتُ إلى حبّة السكّر التي بجانبي فوجدتُها قد ذابت وتركت خلفها دبقًا مربكًا يثير الاشتباك في القضايا الشائكة، لم أبالِ بخسارتي لحبّة السكّر، فقد شغلني عن ذلك وَضَحٌ آسر خُلقت منه الشمس والقمر، كان منجيًا من ديجور محتّم.

---

١ - الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور، ص ٢٢٦

مسكٌ قاتِل

انتشرت الموجات الصوتية من أجنحة النحلة في الحقل فتفاعلت معها الزهور وأنتجت رحيقًا أكثر حلاوة، حطّت النحلة على زهرة المريمية وأخذت ترتشف منها.

لم يكن في المراعي الخضراء سوى طنينها، قطع ذلك الصوت كلمات أختي (سماسم) قائلةً:

واحد، اثنان، ثلاثة، ها قد جئتُ لأبحث عنكِ، سأجدكِ حتى لو كنتِ في بطن شجرة.

هذه كانت آخر كلمات سمعتُها، مباشرة ثمَّ سقطت على الأرض بعد أن أصابتها رصاصة انطلقت من بندقية صيّاد غزا غابتنا، بقيتُ متسمّرة في مخبئي ولم أُخرج منه سوى عينيّ، شهدتُ بشاعة ما جرى، فبعد الصوت المرعب هجموا جميعهم كالنسور الضارية وانقضوا عليها وفتكوا بها وظلّوا ملتفّين حولها حتى رأيتُ دخانًا متصاعدًا إلى السماء من مكان تجمّعهم، ولما فكّوا التجمّع وجلس كلّ منهم جانبًا لم أرَ أثرًا لها، فقد كان هناك شيء بيد كلّ منهم يلوكه في فمه، ولما يئستُ من وجود أثر لها ووجدتُهم منشغلين بطعامهم هربتُ على وجل، شرعتُ بالركض مغمضةً عينيّ لا يدور في أذنيّ سوى ثغاء أختي وصوت ضرب أرجلها

عـلى الأرض، وبعـد قطعـي لمسـافة شاسـعة وجـدتُ نهـرًا فوقفـتُ لأشرب، ومـا إن قرّبـت فمـي مـن المـاء حتى رأيـتُ صـورة أختـي الراحلـة منعكسـة عـلى المـاء فعـدوتُ مغمضـة العينـين .

مـرّ أريـج كأنّـه المسـك فظـلّ في أثـره سـليل أختـي يـرنّ في رأسي فـزاد شـجني الـذي نقلنـي إلى عـالم أثـيريّ غـاصّ بغرائـب كونيـة حـدَّ الدهشـة.

رأيـتُ ثعبانًـا يقـترب مـن طفـل، ركضـتُ صـوب الصغـير لأنقـذه فرأيتُـه يضحـك للثعبـان وهـو يلاعبـه فدُهشـتُ، وقفـتُ في مـكاني أراقـب الطفـل كيـف يكـبر وتكـبر معـه ملابسـه وتتغـيّر بـأيّ لـون يشـاء فـلا يحتـاج إلى تغييرها، ثـم رأيـتُ في جانـب آخـر قطّـة تلاحـق فـأرًا ومـا إن وصلـت إليـه حتـى صـارت تداعبـه وتلاعبـه كأنّـه كـرة الصـوف المفضّلـة لديهـا لا وجبتهـا المفضّلـة!!

واصلـتُ المسـير فرأيـتُ أشـجارًا تحمـل ثـمارًا لا عـين رأت مثلهـا ولا أذن سـمعت بهـا ولا خطـر عـلى قلـب مخلـوق، ثـمّ رفعـتُ رأسي إلى السـماء لأرى أنـواع الطيـور مـن عجائـب خلـق الله، وإذا بالفتـى الـذي يلاعـب الأفعـى يشـير عـلى إحـدى الطيـور فتنـزل لـه مشـويّة في طبـق فـأكل منهـا حتـى شـبع وقـال: لم أذق في حيـاتي كلّهـا لحـمًا ألـذّ منـه، ثـمّ عـاد الطائـر حيًّـا بـإذن الله وطـار عاليًـا في السـماء.

قفلـتُ راجعـةً بضـع خطـوات فزعـةً مـن هـذا المنظـر العجيـب، أخـذتُ نَفَسًـا عميقًـا ثـمّ سرتُ إلى الأمـام، وإذا ببحـيرة كبـيرة فيهـا أنـواع السـمك والحيتـان والدلافـين، وكانـت البطاريـق عـلى جانبيهـا تتزلّـج عـلى الجليـد والبحـيرة مـا تـزال مثلـما هـي عليـه إذ لم تتجمّـد.

قلتُ باستغراب: هل أنا في عالم سحريّ يضمّ النقائض؟!

مشيتُ قليلًا فوجدتُ بضع غزلان تركض وتقفز ثمّ توقّفت إحداها لتلاعب صغيرها، فجاءت مجموعة من الصبيان وأشاروا عليها فشُويت لهم وأكلوها وبعدما شبعوا أحياها الله ثانيةً وقامت وذهبت إلى صغيرها وأرضعته.

بدأت فرائصي ترتعد بشدّة وأخذت دقّات قلبي تتقافز وتدقّ كدويّ طبل مجنون داخل جوفي، أحسستُ بقذىً في عينيّ وشجىً في حلقي، آه لو حلَّ هذا اليوم أبكر لكانت أختي هنا الآن تعدو وتلهو، لكن أنّى السبيل إلى ذلك حينها!

شرد ذهني قليلًا فانتشلتني خشخشة الأوراق من تحت قدميّ، سرتُ بعدها قليلًا فرأيتُ شجرة جوز هند ومجموعة من الرجال مجتمعين حولها ومن بينهم ذاك الصيّاد الذي قتل أختي، كانوا قد وجدوا صندوقًا فيه كنز، طلبوا من الصيّاد أن يفتح لهم الصندوق، وما إن فتحه حتى ظهرت عجائب الدنيا فيه من الذهب والفضّة والمجوهرات والنقود والماس والأحجار الكريمة، حمل الصيّاد قرطًا فيه ماسة مذهلة، فقال له أحدهم: هل أعجبكَ؟

فأجابه: بل لم أرَ مثله في حياتي كلّها.

فقال له: القرط وما في الصندوق كلّه هبة لكَ، حمل الصيّاد الصندوق ثم رأيتُه يلتفت يمينًا وشمالًا كأنّه متحيّر في أمره، وضع قرط الماس في جيبه وأعاد إليهم الصندوق فرفضوه وقالوا له: إنّا لا نستردّ ما أعطيناه.

اجتاحته موجة من غنى النفس فجأةً فجرّدته عن كمّ الجشع المتجذّر في ذاته فبات نادمًا.

عاودتُ السير ثانيةً حتى جذبتني نخلات على جانبي النهر خُطّ على جذوعها بعض الكلمات، وقفتُ عند النخلة الأولى لأجد حديثًا عن رسول الله ﷺ في وصف زمان الظهور: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ...».[1]

أمّا النخلة الثانية فقد خُطّ عليها قول أبي الحسن عليّ بن أبي طالب ﷺ: « وترعى الشاة والذئب في مكان واحد، ويلعب الصبيان بالحيّات والعقارب لا يضرّهم شيء، ويذهب الشرّ ويبقى الخير». [2]

أخذت صغار الطير تزقزق رافعةً رؤوسها وفاتحةً مناقيرها، فلاح طائر السنونو من بعيد وهو قادم صوبهم فاتحًا جناحيه، كانت حنجرته ناريّة وظهره أزرق لامعًا وحول عينيه قناع أسود رقيق، حطّ السنونو في العشّ وأخذ يطعم صغاره والسرور باديًا عليها.

التفتُّ إلى النخلة الثالثة فوجدتُ قد سُطّر عليها قول الإمام الصادق ﷺ: «إذا قام القائم استنزل المؤمن الطير من الهواء فيذبحه و يشويه و يأكله و لا يكسر عظمه، ثمّ يقول له: احيَ بإذن اللهّ، فيحيى و يطير، و كذلك الظباء من الصحاري».[3]

ودُوِّن على النخلة الرابعة قول أمير المؤمنين ﷺ: «لو قد قام قائمنا

١- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، ح ١٦٨١

٢- الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، ص ٥٠٩

٣- المرابطون في زمن الغيبة الكبرى، ص١٨

لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلّا على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه»[1]، اغرورقت عيناي بدموع الفرح لِما شاهدتُ من تحقق كمال ما يتمنى المرء من عالم مثالي يعيش فيه.

ظلّت تلك المشاهد عالقةً في ذهني كلوحة آسرة تضجّ بألوانها الصاخبة، قرّرتُ العودة إلى المكان الذي كنتُ ألعب فيه مع أختي آملةً العثور عليها أو العيش على ذكراها، وقُبيل وصولي سقطتُ في فخّ قد أُعدّ بدهاء، فعلمتُ أنّ آلامنا بتعدّد ألوانها واحدة، ولا راحة إلّا في ذلك العالم.

---

١ - الإمام المهدي ﷺ في بحار الأنوار، ج٢، ص٣٥٤

بوح اللهيب

في ظهيرة يوم قائظ خرجتُ لشراء الخبز، وبينما أنا واقف في طابور الفرن باغتني صوت مجهول في الوقت الذي كنتُ أتأمّل فيه حرارة النار التي أحالت المكان إلى جهنّم، عجبتُ منها فهي لا تلبث تتلقّف ما يُلقى فيها لتحوّله إلى رماد في ثوانٍ معدودة، همس الصوت قائلًا:

هناك استثناءات، إذ خُطّت للنار خطوط حمراء لا يمكنها تجاوزها، فلقد حرّم الله عليها أن تكون حارقة في مواقف معيّنة.

أردتُ أن أسأله عن هويّته وكيف عرف ما يجول في ذهني! لكن شغلني التفكير بما قال.

- أردف ساردًا: في زمن بعيد جاء رجل خراسانيّ إلى الإمام الصادق ﷺ فسأله: يا بن رسول الله، ما الذي يمنعكَ وأنتَ صاحب الحقّ أن تقعد عن حقّكَ، وملككم في يد دولة الباطل؟!

-ردّ عليه الإمام ﷺ: ما لي شيعة يعينونني على ذلك.

-أجابه الخراسانيّ: يا مولاي، هناك من شيعتكَ مئة ألف يضربون بالسيف بين يديكَ.

- أجابه الإمام ﷺ: تمهّل يا خراسانيّ، ثم نادى: يا حنيفة اسجري التنّور، بعدها التفتَ إلى الخراسانيّ وقال: قم واجلس في التنّور!

-نظر الخراسانيّ إلى النار الموقدة وهي مشتعلةٌ لهّابة تتطاير ذؤاباتها، فقال للإمام:

لا تعذّبني بالنار، أقلني يا بن رسول الله.

أخرجني من سياق القصّة شيء ما سقط على كتفي، نظرتُ فوجدتُه ذرق طير ألقى بفضلاته عليّ، حزنتُ لتلوّث قميصي الأبيض، لكنّي لم أجد بدًّا من التفاؤل بالخير لعلّه إشارة إلى رزق يأتيني.

عاد الصوت ليكمل الحوار:

-طمأنه الإمام قائلًا: قد أقلتُكَ....

في هذه الأثناء دخل هارون المكّي عليهم، قال له الإمام: يا هارون ادخل التنّور، فامتثل لأمر الإمام ودخل التنّور وجلس في النار التي كانت تمدّ ألسنتها بشراسة من دون أن يرفّ له جفن.

تشتّت ذهن الخراسانيّ، فسأله الإمام: كم تجد في خراسان مثل هذا؟ وأشار إلى هارون...

-أطرق الخراسانيّ رأسه خجلًا: يا مولاي مثل هذا؟ لا أحد.

- فقال الإمام ﷺ: أمّا نحن، فلا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت.

كم كان كلام الصوت عجيبًا والأعجب منه عمل هارون، إذ دخل على الإمام في التوقيت المناسب، فتبيّن جودة معدنه الأصيل يلجأ إلى مولاه كالطير إذا أمَّت أوكارها، لقد خصّه الله تعالى باحتمال الضيم ليشمله باتّساع العزّ في دار القرار.

كان مصداقًا للحديث الشريف: «...لأحدهم أشدّ بقيّة على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا...»[1] فهو لم يحفظ دينه بالقبض على الجمر فحسب، بل جلس على الجمر عينه، ولَحَقّ على مولاه أن ينجيه من كلّ فتنة غبراء مظلمة لإخلاصه وطاعته، أمّا أمثاله فقليلون، كالشعرة البيضاء في الثور الأسود في الليل الغابر.

ربّت رجل على كتفي فأعادني إلى أجواء المخبز، وقال لي البائع: خذ خبزكَ يا رجل فقد حان دوركَ وأريد أن أطفئ التنّور.

هنا ودّعني الصوت قائلًا:

سأغادر الآن، لكن حذارِ من الطاعة المطلقة للمخلوق، فهي كأتون مشتعل تلتهم ضحاياها، تتوقّف ذؤاباتها عند أولي العصمة ﷺ.

بقيتُ متحيّرًا في أمري من الصوت الذي ظلّ يحادثني كلّ الوقت!

تأمّلتُ المكان بحثًا عن الإجابة فانتشلني من حيرتي صوت لهيب التنّور.

---

١ - يوم الخلاص، كامل سليمان، ص ٢٢٢.

الحقيقة والسراب

دُقّ جرس الباب فتقافزت دقّات قلبي، شعرتُ بفيض متناقض من الأحاسيس؛ مزيج من الخوف والفرح والترقّب، فأنا الآن أمام لحظات مفصلية ستغيّر حياتي، جاء الزائرون فاستقبلهم أبي بابتسامة تُبدي سروره، لقد تقدّم جارنا (حسّان) لخطبتي، حضر مع أخته (وداد).

قدّم لي (حسّان) باقة من أزهار النرجس البيضاء التي فاح أريجها في البيت، شكرتُه على ذلك وبدوره أبدى إعجابه بالإتيكيت المعدّ لضيافتهم، فقد أعددتُ أصنافًا مختلفة من الحلوى، رصفتُها بأناقة في صحون مزخرفة برسوم بغدادية، كنتُ قد رتّبتُها على الطاولة في غرفة الضيوف مسبقًا، وكان يتدلّى من جانبي الطاولة مفرش أبيض من الدانتيل، وقد أضافت الشموع البيضاء المثبتة على حاملة كريستالية رونقًا فخمًا زادته زجاجة ناشر العطر ذات الأعواد جمالًا.

قدّمت لهم القهوة، ضيّفتُ (حسّان) أولًا فنجانًا ممزوجًا بالملح لأرى هل يستطيع أن يتحمّل طعمها فيثبت بذلك جدارته على تحمّله زلّاتي للأيام القادمة، ومع الرشفة الأولى صُدم بمذاقها وتغيّرت ملامحه فهو لم يكن على علم بهذه التقاليد التركية التي صرنا نطبّقها في مجتمعاتنا العربية، أربكني ذلك فسقطت فناجين القهوة من يدي قبل أن أقدّمها، كان موقفًا

محرجًا، تداركت أخته الموقف بلباقة قائلةً: فداكِ، عين وأصابتكِ، إنّ تكسّر فناجينكم التراثية الفريدة من نوعها قد ذكّرني بتكسّر معتقدات أشخاص أعرفهم، وهناك مثل معروف عندنا نقول حين ينكسر شيء ما: (بالگزاز ولا بالعزاز)، وأنا أقول لكِ: بالكزاز ولا بالعقيدة.

ندّت عن (حسّان) ابتسامة بسيطة وقال لأخته: أنا أعلم أنّ المرجوّ التحدّث في أمور الخطبة والزفاف، لكنّي أتوق إلى أن تحلّقي بنا على بساطكِ السحريّ بلسانكِ العذب كعادتكِ في جمعاتنا لتزوّدينا بطيب علومكِ، وبذلك يتزيّن مجلسنا بأريج العلم وتسعد عروستنا.

سُرّت أخته بكلامه فأردفت قائلة: في اليوم الذي غابت فيه الشمس خلف السحب، ظهرت أصناف جديدة من البشر، كلّ يدّعي النور لنفسه فبات الناس في حيرة من أمرهم لا يدرون خلف مَن يسيرون.

سأقصّ عليكم إحدى المواقف التي حدثت معي، فقبل أيام كنتُ في الجامعة، وبعد أن انتهت المحاضرة تحلّقت الفتيات حولي وشرعنا بالتحدّث في أمور عديدة، فوصل بنا الحال إلى نقاش ساخن دار بيني وبين طالبة أخرى تُدعى (ياسمين)، أمّا الأخريات فأخذنَ ينصتنَ إلينا بهدوء تامّ وكلّهنَّ شغف ليعرفنَ النهاية.

قالت ياسمين: قبل أيام شاهدتُ مقطعًا لرجل يدّعي أنّه الإمام المهديّ ﷺ وقد ارتدى جلبابًا أبيض وغترةً خضراء، وأخذ يصيح في الشوارع: لا حاجة إلى دعائكم فقد ظهرتُ!

فغـر النـاس أفواههـم مندهشـين مـن كلامـه، منهـم مَـن راح يضحـك ويسـتهزئ بـه، ومنهـم مَـن صدّقـه وأخـذ يسـير خلفـه.

- سألتُها: ماذا حصل بعدها؟

- أتـت السـلطات وألقـت القبـض عليـه وتبـيّن أنّـه قـد غُـرّر بـه ليقـوم بهـذه العمليـة لتشـويه صـورة الحقيقـة.

- قلتُ: يـا للأسـف لوجـود نـماذج كهـذه يعيشـون بيننـا، يتلبّسـون بـزيّ الديـن!

- برأيكِ كيف يستطيع الشخص أن يميّز بين الحقيقة والتزييف؟

- سـؤال وجيـه، سـأجيب عنـه غـدًا إن شـاء الله بعـد أن أبحـث عـن الجـواب في طيّـات الكتـب.

في اليـوم التـالي أخـذت الفتيـات يترقّبـنَ الاسـتراحة تـتردّد أنظارهـنَّ حـولي، ومـا إن دقّ الجـرس حتـى أحطـنَ بي، كـنَّ كنحـلاتٍ متأهّبـات لارتشـاف الرحيـق.

انبرت ياسمين قائلةً: مرّ يوم أمس ثقيلًا وأنا أحاول أن أخمّن الحقيقة المغيّبة، هلّا بيّنتِ لنا بالدلائل الثابتة كيف نتعرّف على إمامنا الغائب؟

- قلتُ بحماس: هناك خصائص يتفرّد بها الصبح المُسفِر تساعدنا على معرفته، منها: أنّه ليس له ظلّ، وتظلّله غمامة بيضاء أينما اتّجه، يخرج منها صوت يقول: (هذا هو المهديّ خليفة الله فاتّبعوه)، ألان الله له الحديد وسَخَّرَ له الرياح تجري بأمره، عنده عصى موسى عليه السلام يخيف بها

أعداءه وتبتلع خيولهم، وأيُّ معجزةٍ قام بها كلّ نبيّ من الأنبياء سيقوم بها هو أيضًا -روحي فداه -.

- قالت ياسمين: سبحان الله، وبعد كلّ هذه الدلائل الواضحة هناك مَن يسير خلف المدعّى الكاذب؟!

- أكملتُ قائلةً: وممّا ينفرد به ﷺ أنّه تُطوى له الأرض، ورائحته أطيب من المسك، وهو قوي في بدنه لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه المعمورة لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها.

- كيف لا وعمّه العبّاس (سبع القنطرة)!

- منظره منظر الشباب وسنّه سنّ الشيوخ، دعاؤه مستجاب فلو دعا على صخرة لانشقّت إلى نصفين، معه خاتم النبيّ سليمان ﷺ.

فتحت ياسمين عينيها الكحيلتين مادحة: يا لعظيم ما يحمل من صفات، شكرًا لكِ على توضيح ما خفي علينا، إنّه حقيقة أبين من الشمس الساطعة في وضح النهار.

صدر صوت طائر الوقواق من الساعة الجدارية التي تشير عقاربها إلى الخامسة، أجال الحاضرون بصرهم نحوها فعاد الطائر الميكانيكي إلى محلّه وأُغلق الباب الصغير الذي خرج منه، شعرتُ من تعابير وجوههم أنّ الساعة الجدارية قد راقتهم بتصميمها الخشبي المزخرف يدويًا على شكل كوخ في الغابة.

غادر (حسّان) وأخته منزلنا بعد أن تمّ الاتفاق على أن يكون مؤخّر

الصداق مجموعة قصصية تحوي قصصًا بعدد سنين عمري يكتبها (حسّان) يبيّن فيها للقرّاء الحقيقة من السراب.

ابنتي، ماذا تفعلين؟!

أعادتني زجرة أمّي إلى وعيي، لقد لمحتني وأنا أضيف الملح إلى أحد الفناجين، فقطعت عليّ سلسلة أحلامي، رحتُ أكمل لوازم الضيافة شاردة الذهن، أفكّر هل سيكون العريس الذي سيتقدّم إلى خطبتي مثل (حسّان) الذي يعيش في خيالي؟ كم أتمنّى أن يكون كذلك لنُنجب جيلًا واعدًا.

مدينة العميان

الساعة الثانية ظهرًا، والشمس في كبد السماء، والحزن يسود المكان، أبناء مدينتي كلّهم مصابون بالعمى، ربّما هناك أشخاص معدودون يستطيعون الرؤية، لكنّهم يتظاهرون بالعمى، العمى أمر مأساويّ حلّ بنا كوباء مستفحل، فمَن لا يرى محرومٌ من نِعم كثيرة.

لم أنعم بالنوم عدّة ليالٍ، فلم يفارق بالي مَن سيُجلي العمى عن حياتي، فالكثيرون مثلي مصابون به، لكنّهم لا يكترثون، يعيشون حياتهم بلا مبالاة، لم يعرفوا كم أنّ الشمس جميلة وأنّ لها نورًا ساطعًا يقشع الظلام الذي حلّ بنا، وأنّها سبب الحياة ولولاها لما بقينا أحياءً.

بقيت أسأل كلّ مَن رأى الشمس وسمع عنها، وأطلب منه أن يصفها لي، بتُّ أتخيّلها كلّ ليلة قبل خلودي إلى النوم، فأنا لم أعرفها حقّ المعرفة، لكن بمعرفتي القليلة هذه همتُ شوقًا إلى رؤيتها ووددتُ لو يصلني بصيص من شعاع ضيائها، بقيتُ على حالي هذه حتى تلك الليلة المعهودة، حيث ذهبتُ إلى سريري، أغمضتُ عينيّ وشرعتُ بقراءة وِردي اليومي وأنا أتخيّلها:

يا أيّتها الشمس، هلّا رفقتِ بي
أعيش في العمى، أحنّ إلى نورك

ارأفي بي ولو ليوم واحد، بل لساعةٍ واحدة!

اسمحي لي أن أشاهدكِ حين تشرقين في الصباح..

بعد نطقي هذه الكلمات غفوتُ، شعرت كأنّي في عالمٍ آخر، هبّت نسمة هواء باردة محملة بعطر الياسمين، لمحتُ ومضات مضيئة تنتقل من زهرة إلى أخرى حتى اكتشفت أنها من أثرِ جناح الفراشة، كانت تزهو بلونها الأرجواني الساحر.

فجأة أطلّت شمس من خلف السحب أنارت عتمتي، فتحتُ عينيّ لم أعد أعيشُ في الظلام، أنا أرى، أنا أرى يا إلهي، لم أعد عمياء!!

لقد وصلني نور الشمس، يا الله، ما هذا أين أنا؟!

يا لنورك يا شمس، إنّهُ يمدّ الكون كلّه..

لو تعلمين كم تعذّبتُ حين كنتُ عمياء؟

كم تألّمتُ لأنّي لم أكن أستطيع أن أراكِ؟

يا شمس، أرجوكِ ابزغي في مدينة العميان..

زاد ضياء الشمس تلألئًا وانبثاقًا..

وصدر صوتٌ من خلف الجبل الشاهق بنبرة متيقنة: سيصلح الله أمره في ليلة.

قلتُ وأنا أشعر بأن قلبي يريد أن يخرج من محله: واهًا واهًا لتلك الساعة السعيدة، والخلاص الخلاص من الظلم المحيق بالأرض.

أيقظني بكاء أخي الصغير، فقفزتُ من سريري مذعورةً وإذا بي أعود عمياء، أخذتُ أتلمّس الطريق، لم يعد باستطاعتي أن أرى الشمس، مرّة

أخرى خيّم السواد عليّ، شرعتُ بالصراخ: آه من العمى، أنا أخاف من الظلام، أعيدوا لي الشمس، لا أريد أن أعيش بدون نورها.

هرع والدايَّ وإخوتي نحوي واجتمعوا حولي، فسألتني أمّي: ما بكِ يا صغيرتي؟ ألم تعتادي على الظلام؟!

– أمّاه لقد رأيتُ الشمس، لقد أبصرتُ أخيرًا، لكنّي عدتُ عمياء ثانيةً.

أخذتُ أمشي في أرجاء الغرفة وأردّد:

((وين أروح يلي كلّ شي بلا نورك ظلمة))

رفعتُ رأسي نحو السماء أحدّثها بلغة العيون: لا أريد شمسكِ يا سماء، ولا أيّ ضوء آخر، فأنا مطلوبي شمس الحياة، يا ترى هل سأشهد رحيل الشمس التي في السماء خجلةً من نورك يا شمسي ويا قمري؟ [1]

---

١ – عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة».

الكبريتالأحمر

أسدل الليل ستاره، وومضت النجوم مستأنسةً بليلة رمضانية معطّرة بصوت الحاجّ مصطفى الصرّاف وهو يقرأ دعاء أبي حمزة الثمالي، جلتُ ببصري في السماء فرأيتُ القمر قد شارف على الأفول، خفتُ أن يرحل ولّما أتحدّث إليه بعدُ، فقلتُ له: أشعر بضيق في صدري أيّها القمر، يدهشني أشخاص يتجرّدون من إنسانيتهم، كيف يطاوعهم قلبهم بإيذاء أبناء جنسهم؟

قال القمر:

سأحدّثكِ عن السبب الذي جعل بعض البشر تنهش بعضها كالذئاب، إنها ذرّة فيروس تحطّ على قلوبهم فتميتها، يعيشون أحياءً بضمائر ميّتة تنعدم لديهم الإنسانية والرحمة، يسيرون بأجساد الآدميين ونفوس الشياطين، وذلك ممّا كسبت أيديهم، وحينما وصل في حديثه عن تلك الذرّة أعلن رحيله وقدومه في الليلة القادمة، لكن أنّى لي الاصطبار.

سطعت الشمس وبدأت تتراقص في أشعّتها ذرّات صغيرة، اتّجهتُ نحو إحداهنَّ، أمعنتُ النظر فيها فشرعتْ ذرّة أشعّة الشمس بالحديث معي قائلة:

أرى في عينيكِ حزنًا، بوحي لي بسببه علّكِ تشعرين بالراحة ويخفّ عنكِ بعض الشيء.

قلتُ لها: –

كنتُ مستأنسة بحديث القمر قبل أفوله، لكنّه رحل وانقطع عنّي ولا طاقة لي على الاصطبار لليلة كاملة حتى يأتي ثانيةً، كم وددتُ أن أعرف أكثر عن هذه الذرّة التي تحوّل البشر إلى وحوش ضارية تنهش أبناء جنسها، علّني أستطيع مكافحتها.

قالت ذرّة أشعّة الشمس:

خفّفي عن وجدكِ، فأنا سأخبركِ بذلك، إنّها ذرّة فيروسٍ مستحدثة تجوب كافة بقاع العالم، تصيب الشخص ولا تظهر عليه الأعراض أمام الملأ، لكنّه يعلم بأنّه مصاب، تستقرّ في الوتر الحسّاس منه، فتنغرس في قلبه وتنمو هناك، لها تاريخ حافل منذ القدم من عهد أبي البشر، تأتي عليها حُقب تضمحل فيها وتتقوقع في أماكن دون أخرى، كافحوها مرّاتٍ ومرّات، وفي كلّ مرّة توشك أن تفنى، لكنّها تصارعهم وتعود إلى الحياة بشكل مختلف، إلّا أنّها تخاف من يوم موعود تعلم فيه بأنّها ستُباد بشكل نهائيّ.

قطعت حديثنا ذرّة الفيروس الخبيثة لتُدخل نفسها عنوة إذ شرعت قائلةً:

ما يزال ذلك اليوم عالقًا في ذاكرتي حينما جعلتُ أهل ذاك الزمان يقدّسون السحرة، ويعبدون رمز القوة فرعون، لكن لم يدم الحال، فبقدوم موسى بن عمران وما معه من آياتٍ بيّنات وعصاه التي تلقف ما نأفك، هُزمنا شرّ هزيمة ولم يؤثر ذلك فيّ، انتظرتُ حقبة من الزمن وعدتُ بلونٍ جديد وقوةٍ أعظم ممّا سبق، لقد علمتُ أنّني لن أستطيع قهرهم بالسحر

فقـرّرت أن أشـنّ حربًـا عـلى عقولهـم بالعلـم، وليـس أيّ علـم، بـل علـمًا إنسـانيًا يحتـاج إليـه الجميـع فظهـرتُ عـبر علـم الطـبّ، اسـتطعتُ أن أحيـي الميـت قبـل أن يبـرد جسـمه وقـدرتُ أن أفحـص المريـض بمجـرد إلقـاء نظـرة عـلى وجهـه فأخبرهـم عـمّا أكل أو فعـل، فزرعـتُ بوسـائلي شـكّ المؤمنـين في مقـدرة عيسـى بـن مريـم عـلى دحـري، لكـن كالعـادة نـصر الله رسـوله فظهـر عيسـى بـن مريـم بالعلـم المتفـوّق معلنًـا: أنـا أبـرئ الأكمـه والأبـرص وسـائر المصابـين بالأمـراض المسـتعصية لا بالـدواء إنّـما بمجـرّد مسـحة يـد، وأحيـي الأمـوات لا الذيـن لم يبـرد جسـمهم فحسـب، بـل أحيـي حتـى الميـت الرميـم، وإنّي أخلـق لكـم مـن الطـين كهيئـة الطـير فأنفـخ فيـه فيكـون طـيرًا بـإذن الله، وإنّي أخبركـم لا بـما أكلـه المريـض أو فعلـه فحسـب، إنّـما أخبركـم بـما تأكلـون ومـا تدّخـرون في بيوتكـم.

صـدر مـن الجـوار مـواء قطـط صغـيرة فقطـع عـليّ الحديـث الشـائق، ألقيـتُ نظـرة عليهـنَّ فوجدتهـنَّ قـد تكوّمـنَ عـلى أمّهـنَّ يرتضعـنَ اللبـن، وبـدا أنّ الجـوع قـد فتـك بأجسـادهنَّ النحيلة فراحـت تلعقهـنَّ بحنـان.

أكملت ذرّة الفيروس الخبيثة حديثها قائلةً:

وبعـد الفشـل الذريـع، أتظنّـون أنّنـي استسـلمتُ؟ كلا، بالطبـع عـدتُ كـرارًا ومـرارًا مـن غـير كلـل حتـى جـاء اليـوم الـذي دخلـتُ فيـه قلـب شـخص يُدعـى (النميري)، شـعرتُ عنـد دخـولي أنّ هـذه الآيـة تنطبـق عليـه: ﴿فِي قُلُوبِهِـم مَّـرَضٌ فَزَادَهُـمُ اللهُ مَرَضًـا...﴾. [1]

---

١ – سورة البقرة، آية ١٠

كان (النميري) ممّن صحبوا الإمام الحسن العسكريّ، إلّا أنّه حين استُشهد الإمام انحرف وادّعى (البابيّة) وقال بالتناسخ، والغلوّ في الإمام الهادي والعسكريّ، والقول بربوبيتهما، وأفتى بإباحة نكاح المحارم، وحلّل نكاح الرجال لبعضهم متعلّلًا بأنّ ذلك من الطيّبات، ثم افتُضح أمره بما ظهر منه من الإلحاد والجهل.

بعدها تحوّلتُ إلى قلب رجل آخر يُدعى (الحلّاج)، ادّعى أنّه وكيل صاحب الزمان، وأرسل إلى (أبي سهل) وهو رجل معروف ببساطته يدعوه إلى التصديق به بعد أن خدع بدعوته مجموعة من الناس، فراسله قائلًا له:

إنّي وكيل صاحب الزمان، وقد أُمرتُ بمراسلتكَ وإظهار ما تريده من النصرة لكَ لتقوّي نفسكَ، ولا ترتاب بهذا الأمر.

فردّ عليه أبو سهل قائلًا: إنّي أطلب منكَ أن تقوم بعمل لا يقوى عليه إلّا من تصدر منه المعجزات، فإن قمتَ به سأكون طوع أمركَ، وهو أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤونته وتجعل لحيتي البيضاء سوداء.

فلم يقدر الحلّاج على ذلك، فصيّره أبو سهل أضحوكة وأحدوثة يُطنز به عند كلّ أحد وشهر أمره عند الصغير والكبير، وبذلك خسرتُ تلك الورقة أيضًا.

وها أنا الآن أنتقل من ضمير إلى آخر، ولا تصعب عليّ إلّا ضمائر الكبريت الأحمر، كيف أغلبهم وهم الثابتون في هذا الزمان إذ قال رسول

الله: «إن عليّ بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا، والذي بعثني بالحقّ بشيرًا إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر...». (١)

لم أتمالك نفسي للبقاء مستمعةً فقط، فقلتُ لها: ما المقصود بالكبريت الأحمر؟

فقالت: إنّه مادّة كيميائية تبدّل النحاس ذهبًا وهو أغلى من كلّ شيء، ويقول أرسطو وابن البيطار عنه: إنّ الكبريت الأحمر يضيء ليلًا ويُرى ضوؤه من بُعد فراسخ عدّة مادام باقيًا في موضعه، ويقول الجاحظ بندرة هذا النوع من المعادن، والمشهور أنّ الكبريت الأحمر هو الجوهر الذي يطلبه أصحاب الكيمياء وهو الإكسير، وقد سرّني قول الإمام الصادق: «الناس كلّهم بهائم - ثلاثًا - إلّا قليل من المؤمنين، والمؤمن غريب - ثلاث مرّات -». (٢)

وبما أنّني لم أستطع أن أؤثر في الضمائر التي هي أعزّ من الكبريت الأحمر احتوشتُ مَن يحوطونهم من كلّ جانب وجعلتهم يتركون أغلى ما يملكون وينشغلون بما يضيّعون به دينهم، فجعلتُ بذلك مَن هم أعزّ من نادري الوجود غرباء تذوب قلوبهم في جوفهم مثلما يذوب الملح في الماء بما يرون من منكر فلا يستطيعون تغييره.

١- كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص ٣١٦

٢- الكافي، ج٢، ص ٢٤٢

وخزة من الألم أصابت قلبي من جنايات ذرّة الفيروس الخبيثة، اتّجهت إلى المكتبة وتصفّحتُ كتابًا، صبّرني فيه مقطع من زيارة الندبة:

«...مَن لي إلّا أنتَ فيما دنتُ واعتصمتُ بكَ فيه تحرسني فيما تقرّبتُ به إليكَ يا وقاية الله وستره وبركته، أغنني أدنني أدركني صلني بكَ ولا تقطعني...».[1]

أغلقتُ الكتاب ثمّ مسحتُ عنه الغبار آملةً أن تزول مثلها الفيروسات التي تعشعش في القلوب المريضة ويسود السلام في العالم.

---

١ - الصحيفة المهدية، ص ٥٦٦

رجال الغيوم[1]

غـزت خيـوط الشـمس الذهبيـة دارنـا بعـد أن ألقـت بشـباكها شـعاعًا ناصعًـا عـلى نباتـاتي الظليّـة، دفئهـا الـذي غمرنـا لم يكـن إلّا إحـدى لمسـات أمّـي السـحرية حـين تفتـح النافـذة كلّ صبـاح لأصحـو عـلى أثرهـا مـع صفـير البلبـل، رتّبـتُ سريـري، رفعـتُ وسـادتي باحثـةً عـن شيءٍ ثمـين، لكـن واحـرّ قلبـي اليـوم كذلـك لم أجـد شـيئًا، أخـذت دموعـي تتسـاقط رغـمًا عنّي بغـزارة.

مـن عـادات أسرتنـا أن يقـوم كلّ فـرد بترتيـب سريـره بنفسـه حالمـا يسـتيقظ مـن نومـه، ويرفـع الوسـادة بحثًـا عـن صكّ كنزٍ لا يُقـدّر بثمـن جُعـل تحتهـا، فوالدنـا قـد وعدنـا بـأن يجعلـه تحـت وسـادة بعضنـا.

يعتقـد والدنـا أنّنـا في رحلتنـا نتعـرّض للمطبّـات، لقـد حذّرنـا مـن العـدوّ فهـو يشـنّ هجمـة شرسـة، يعمـل ويخطّـط وينفّـذ، هدفـه الأطفـال والشـباب، يريـد أن يشـغلهم بالتفاهـة ليُسـقطهم في الغربـال، لـن يبقـى منهـم سـوى الأنـدر الأنـدر، وهـو الـذي سـيكون جديـرًا بالحصـول عـلى الكنـز، احـترتُ في أمـري، فأنّـى لي بالوصـول، لابـدّ مـن وجـود طريـق للفـوز، التجـأتُ إلى كتـاب الله ليكـون لي نِعـم السـند، فقـرأتُ قولـه تعـالى: ﴿...وَفِي ذَلِـكَ

١- فـازت قصـة رجـال الغيـوم بالمسـابقة المهدويـة للقصـة القصـيرة التـي أقيمـت بمناسـبة ولادة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه في مهرجـان أفـق الانتظـار وبنـاء الأمـل ٤ بالمرتبـة الثالثـة.

فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[1] و﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] ازداد حماسي فزَخَر إصراري، صِرنا نحن الأخوة نتنافس فيما بيننا لكسب رضا أبينا، عملتُ على قلبي لأجعله نقيًّا من دنس النفاق، مهذّبًا من رجس الشقاق، وتطبّعتُ بالهشاشة والبشاشة.

أحد إخوتي صار مثل المسك الذي يفوح أريجه فلا يتغيّر أبدًا، ومثل القمر المنير في كبد السماء الذي لا يُطفأ نوره أبدًا، وآخر بات لا ينام الليل، له دويّ في صلاته كدويّ النحل، يبيت قائمًا على أطرافه ويصبح على خيله، راهب بالليل، ليث بالنهار كالمصباح كأنّ قلبه القنديل.

كُلٌّ منّا باشر بالعمل على نفسه ليكون الأول في الفوز بالسباق قبل الآخرين، عندما أراد أبونا السفر قال لنا: في غيابي مَن يصلح نفسه أولًا يكون الأقرب، أمّا إذا عدتُ فسيصعب على المقصّرين الحصول على الكنز؛ لأنّهم لم يجاهدوا أنفسهم ويعدّونها في غيابي ليكونوا جديرين بالفوز...

وهكذا مضت الأيام والساعات الواحدة تلو الأخرى، وكلّنا يعمل بما يراه الأفضل، أمّا أبونا فلم يعد بعدُ.

طالت المدّة ونحن في غياهب الانتظار، زاد شوقي إلى أبي وفاضت شهقات الحنين كمرجل تصفق فيه أجنحة الفقد.

١- سورة المطففين، آية ٢٦

٢- سورة الواقعة، آية ١٠-١١

رنتُ إلى السماء فرأيتُ الغيوم قد تشكّلت على صورة دلو ماء فوق بئر الغَيْبة، قلتُ لنفسي: ربّما ستروي العطاشى إلى الماء المعين.

تأجّجت مشاعري حين ذكرتُ الغائب، فصدحتُ قائلةً: استعدّي يا غيوم فما يدريكِ لعلّ الساعة قريبة لتحملي رجالًا قلب أحدهم كزبر الحديد، يتمسّح بسرج مولاه، يحفّ به، يقيه بنفسه في السرّاء والضرّاء، أطوع له من الأمة لسيّدها، برأه الله بطهارة الولادة ونفاسة التربة.

ليس من شيءٍ إلّا وهو مطيعٌ لهم حتى سباع الأرض وسباع الطير، ولتتفاخر الأرض حين يسيرون عليها وتقول: مرّ بي اليوم رجلٌ من أصحاب القائم.

هنّأكِ الله يا غيوم بما أولاكِ من رجالٍ أشدّاء، قوة الرجل منهم بأربعين شخصًا، لو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها، سيتنقّلون عليكِ في وضح النهار ليسيروا إلى سيّدهم من بلدٍ إلى بلد[1]، تنزل إليهم سيوف مكتوب على كل منها اسم الرجل واسم أبيه وحليته ونسبه، في ذلك الصباح الموعود سيتفقّد كلّ رجلٍ منهم تحت وسادته فيعثر على صكٍّ مكتوبٍ فيه: طاعةٌ معروفة..[2] حينها ستغمره السعادة الكبرى بحصوله على الكنز الحقيقي إذ سيتيقّن بأنّه من رجالكِ يا غيوم.

١- قال أمير المؤمنين ﷺ: « إذا أُذِن الإمام دعا الله باسمه، فأتيحت له صحابته، وهم أصحاب الألوية، فمنهم من يفتقد من فراشه ليلًا فيصبح في مكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهارًا»

٢- قال الإمام الصادق ﷺ: «يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب طاعة معروفة»

مخاض شجرة

شبَّ حريقٌ في الغابة انتشر في إثره دخان كثيف، وساد الذعر في الأرجاء، فصعبت الرؤية وضاقت الأنفاس، الأوكسجين الذي كنتُ أطرحه لتحيا به الحيوانات صار عاملًا مساعدًا على الحريق، هدّأت من روعي ذكريات عابقة في قعر الذاكرة، ترنيمات سامية لـ(أشرف) الذي رافقني ردحًا من الزمن، كان عذب الصوت، لاسيّما حين كان يرتّل زيارة الحقّ الجديد.

بالأمس في مثل هذا الوقت أخذ يطعم الطيور مستظلًّا من حرارة الشمس بأغصاني الخضراء الطويلة، لِمَ لم يأتِ اليوم؟

أخذت حرارة اللهيب تدنو منّي، وأوشكتُ على الاحتراق، الطيور والغزلان والأرانب والذئاب كلّها صارت تأتي صوبي لتهرب من النار إلّا الأشجار لم تسعها الحركة، فأخذت تصرخ في مكانها، وصل إليّ الحريق، ولمّا كدتُ أن احترق إذا بالرعد والبرق، والسماء تجود بأمطارٍ غزيرة تنجيني وتطفئ النيران، شخصٌ ما يقترب منّي، أيُعقل أن يكون هُوَ؟؟

يا الله، ليته ينجو، أجل إنّه (أشرف)، أخذ يتفقّد ما آلت إليه حال الغابة، لم تدم سعادتي برؤيته طويلًا، فقد غادر المكان قبل حلول الظلام،

وكيف له البقاء في مكان لم تبقَ فيه شجرة مثمرة، وأحال الحريق بيته في الغابة إلى رماد.

صرتُ وحيدة غريبة بعد رحيل (أشرف)، أُعاني صعوبة في اعتيادي على الوضع الجديد وأنا التي لطالما أنستُ بالاستماع لأحاديثه الشائقة مع الأطفال عن الإمام الأنيس، والآن أشعر بغربة الفريد الغائب ووحدته، ذاك الذي كان يتحدّث عنه (أشرف) مرارًا، قال ذات مرّة: إنّه لا يسكن من الجبال إلّا وعرها، ومن البلاد إلّا عفرها تقيّةً وخوفًا من أعدائه، لقد كُتب لي أن أشارك إمام زماني شعوره وأتذوّق مرارة وحشته، لقد غفلتُ عن ذكره وقصّرت في حقّه، فجرى ما جرى لأدعو الله أن يغفر لي وينظر إليّ بعين رحمته فأنهل من عذب الماء المعين .

مع احتراق الغابة التهب قلبي لفراق (أشرف)، حُرِمت ممّن يذكّرني وجهه وجميل حديثه بالخلف الصالح.

حلّ الظلام وعمّ المكان عواء الذئاب، بتُّ أنظر إليها كيف تبحث عن ضالّتها لتفترسها، فخطر ببالي ذئاب البشر كيف يبحثون عن (الشريد) (الطريد)، ربّما بحثهم عنه أشدّ من بحث محبّيه عنه، إنّهم يتوعّدون له بالشرّ ليفتكوا به، شعور الخوف الذي تملّكني في جوف الليل جعلني أتذكّر قول (أشرف) في وصف المَوْتُور حين يظهر خائفًا يترقّب مسندًا ظهره إلى جدار الكعبة، ينصره الله برجال يسيرون ويسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يهزمون به أعداءه، استرخصتُ نفسي في نصرته وخدمته، بعتُ روحي واشتريتُ وصاله، عادت بي الذكريات

إلى الصوت العذب لأشرف حين كان يرتّل: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾[1]، صرختُ بأعلى صوتي بعد استغاثة الأشجار المحترقة، وعاهدتُ الله بأنّي لو أُحرق وأَذرى وأُقطّع وأُنشر بالمناشير فسأصبر على نصرته.

توالت السنون وجاء اليوم الذي اكتظّت فيه الغابة بالبشر والسيارات بعد إن كانت مهجورة، ولم يبقَ فيها سوى أشجار الخيزران، فسمعتُهم يتكلّمون عن تنفيذ مشروع بناء، جاؤوا بالمنشار وأخذوا يقطعوني، ألم حادّ ولذّة تفوقه في الوقت ذاته، لذّة التضحية للمحبوب وشوق الوصول إلى موعود السماء.

إنّها نبوءة أخبرني بها (أشرف) وهي أنّي سأصل يومًا ما إلى يد الإمام عجل الله فرجه.

صرتُ بين الشعور واللاشعور، أعياني الألم الذي غيّر شكلي وحجمي، لكنّه لم يغيّر عقيدتي وقلبي، بعد المرور بأماكن مختلفة ومن تعذيب إلى آخر صرت بشكلي النهائي، شاهدتُ نفسي فوجدتني ورقةً؟! كلّ هذا الصبر كان آخره ورقة؟! وأنا كنتُ أظنّ أنّه اللقاء، لكن صبرًا، سأصبر حتى يملّ الصبر من صبري، سأتحمّل مرارة الدنيا حتى لو صارت أمرّ من الحنظل.

حدّثت ذلك النائي وكلّي يقين بأنّه يستمع إليّ حتى لو كنتُ بعيدة عنه، والد الأُمة ذاك الذي تكون الكرة الأرضية لديه بمنزلة راحة يده وهو مطّلع على كلّ ما يجري فيها من مآسٍ وآلام، كان الله في عونه،

١- سورة التوبة، آية ١١١

فحمله لا تحمله الجبال الرواسي، ناجيتُه وأنا على يقين بأنّ مقاليد السماء والأرض بيده، ظللتُ صابرةً حتى حنَّ الحاني عليّ، فبعد احتسابي فقدي لأشرف إلى الله وصبري على ألوان البلاء، عوّضني الله بكفٍّ دافئة، تحوّلتُ إلى أوراق المراسيل بين العظماء، بين الشيخ المفيد وبين مَن حلمتُ برؤيته، وقد حان وقت اللقاء..

سبحان الخالق، ما هذا بشرًا، إنّه لَمَلَك كريم!! تتجلّى في سيماه معاني الكرم والرفعة والنبل والشموخ له سمت، بخدّه الأيمن خال كأنّه فتات المسك على بياض الفضّة، خُيّل إليّ أنّي أنظر إلى غصن البان، صفحة غرّته كالكوكب الدريّ، أقنى الأنف.

اليوم هو أول أيام الخدمة في حضرته، عيناه تنظران إليّ والابتسامة على محيّاه، أناملـه تخطّ عليّ، دَوّن بحبّ:

«للأخ السديد، والوليّ الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه، من مستودع العهد المأخوذ على العباد... أمّا بعدُ: سلام عليكَ أيّها الوليّ المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين...».

وكتب له رسائل أخرى، لكن الذي أدهشني وحيّرني مَن يكون الشيخ المفيد حتى يكتب له مولاي مكاتيب كثيرة ويكلّمه بهذا الإجلال؟!

حتى سمعتُ في أحد الأيام في حديث جرى من حولي عن الشيخ المفيد أنّ صاحب العصر والزمان ﷺ هو الذي أطلق عليه لقب الشيخ المفيد، وأنّ الشيخ هو أول مَن جسّد المرجعية الشيعية بعد انتهاء الغيبة

الصغرى وابتداء الغيبة الكبرى، وهو ممّن تردّد على النوّاب الأربعة، إذ عاصرهم وبقي بعدهم على علاقة بالإمام بالمراسلة، وربّما بالمشاهدة، ومن أشهر تلاميذه الشريفان الرضيّ والمرتضى والشيخ الطوسي.

واستطاع بحكمته أن يتغلّب على المواقف الصعبة في كلّ الأزمات من دون أن يثير حربًا طائفية.

هبّت ريح عاتية انفتحت في إثرها النافذة على مصراعيها؛ لتدخل مع نفح الهواء فراشة محمّلة بعطر الزهور، لتحطّ رحالها على أوراقي وتضفي عليها ألوان الربيع.

وبعد العديد من الرسائل الثريّة بالمبادئ الإنسانية توقّف عن الكتابة له، فعلمتُ أنّه قد تُوفّي الشيخ المفيد، وقد نعاه وارث الأنبياء بهذه الأبيات:

لا صوّت الناعي بفقدكَ إنّه

يومٌ على آل الرسول عظيمُ

إن كنتَ قد غُيّبتَ في جدث الثرى

فالعلم والتوحيد فيكَ مقيمُ

والحجّة المهديّ يفرح كلّما

تُليت عليكَ من الدروسِ علومُ [1]

مع تنفّس الصباح غادرت الفراشة غرفة العلم متألّقة بعبقه لتنشره في المراعي الخضراء والواحة الغنّاء، وتغرسه في كلّ قلب نقيّ طاهر الطينة،

---

١ - كلمة الإمام المهدي، ص ١٣٥ - ١٤٠

حلّقت في الكون الرحب ثمّ حطّت رحالها على باب مستشفى الولادة تنظر إلى الأطفال الخارجين منها، تتوسّم وجوههم على أمل أن تعثر على نور في وجه وليد ذي شأن، وما برحت تطلّ على دواة الشيخ المفيد، ترقب حبرها متى يلامس الورق على يد عالم آخر عامل بعلمه؛ لتشحن منها طاقتها لنيل الوصال.

أراجيز خفّاقة

خَفَت ضوء القمر في سماءٍ خلت من ضحكات النجوم، وهجعت الكائنات في أوكارها مطمئنّة بسبات الليل، عندها ومضت صورة فقيدي في قلبي، أعلنتُ الحداد على أخي المغدور الذي أزهقوا روحه ظلمًا، فتمنّيتُ أن أموت عوضًا عنه، ترك خلفه سبعة أطفال وأرملة، اسودّت الدنيا في عينيّ، بكيتُه بكاء الأمّ الثكلى، صرختُ بأعلى صوتي، شهقتُ وكدتُ أن أزفر روحي، لكنّي تمسّكت بالحياة لغاية واحدة وهي الثأر، فرّ المجرم ومرّت الأيام والسنون، ومرّ العمر بي وأنا كلّ يوم أبحث عن القاتل، لم أنم ليلة إلّا وأنا أذرف الدموع، كلّ شيء أراه يعيد لي ذكرياتي مع أخي، كلّ زقاق أمرّ به يحدّثني عن نبله وشهامته، تمزّقت نياط قلبي حرقةً على صغاره، لم أرَ أحد أولاده إلّا وانفجرتُ باكيًا، أول كلمة نطق بها أصغرهم هي (أبي) من كثرة ما سمعها من إخوته الذين يسألون عنه ويبكون عاليًا فكم أغدقَهم حنانًا ورأفةً.

باغتتني الدنيا اليوم، رأيتُ قاتل أخي بعد مرور عشر سنوات، فما يزال مثلما كان مقطّب الحاجبين، ملامحه قاسية تقطر بغضًا، جاءت الساعة التي أشفي بها غليلي، إذ تمّ تعييني في محكمة الجنايات قسم التنفيذ وشاءت الأقدار أن أراه أمامي فقد تم القبض عليه، بعد قيامه

بجرائم متعدّدة وحكموه بالشنق حتى الموت، حقًّا تراءت لي الحقيقة: (إنّ الله يمهل، ولا يهمل).

وبعد أن سقط الجبل العظيم عن كاهلي وأتممتُ مسؤوليتي، صار عليّ أن أفي بنذري وهو أن أزور سبط الرسول شهيد كربلاء مشيًا على الأقدام إن أخذت بثأري، توجّهتُ لأول مرّة في عمري إلى أرض كربلاء، لّما وصلتُ تراءت لي من بعيد قبّة ذهبية شامخة، ترفرف فوقها راية حمراء أنّاذه، ترتفع على جانبيها مئذنتان ذهبيتان شاهقتان، تحلّق حولهما طيور جميلة يدعونها بـ(حمام الحضرة) تشدو هديلًا يمنح الإحساس بالأمان، رفرفت الراية، أخذتُ أحدّثها: ما السرّ في لونكِ الذي يذكّرني بدماء أخي؟

- أجابتني بحزن: يرمز لوني الأحمر إلى دم صاحب القبر، إذ إنّه لم يُؤخذ بثأره بعدُ، فقبل أكثر من ألف وأربعمائة عام قتله الظالمون في أبشع مجزرة في التاريخ مع ثمانية عشر رجلًا ما لهم من شبيه على وجه الأرض واثنين وسبعين شخصًا من الأنصار لن يأتي أنصار خيرًا منهم.

- سألتها وقد تصدع قلبي: خيرُ أهل الأرض ولم يُؤخذ بحقّه إلى الآن؟!

- سيأتي المُنتظَر الموعود يطالب بدم جده الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، ويأخذ بثأرهم وينتقم من قتلتهم.

- اعتصرني الألم فقلتُ: كان لي أخ واحد وقد تمزّقت حشاشة قلبي حتى أخذتُ بثأره بعد أعوام عديدة فما هو حال المنتقم؟

– قالت: كان الله في عونه له من العمر (١١٨٩) عامًا، وجفونه تتقرّح وتسكب دمًا كلّ يوم لمصاب جدّه الحسين ﷺ ولكن الذي يصبّرني عليه هو معرفتي بوجود أربعة آلاف مَلَك يحفّون قبر الحسين ﷺ كانوا قد جاؤوا لنصرته فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيصيروا من أنصاره وشعارهم: (يا لثارات الحسين).

– قلتُ وقد أبلى الدموع محجري: يا لغربة غائبنا.

–قالت لي: تسلَّ بالإبحار في الكتب المهدوية واعرف إمامك فمن عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أم تأخر واعلم إن في غيبته قوة واستعداد لحكومة عالمية.

حلّق فوق رأسي سرب من الطيور الرمادية ذات الرقبة الخضراء البرّاقة، فاستفسرتُ من الراية عن السرّ في هذه الطيور.

– قالت: هذا الطائر يسمّى بطائر (الهام) والمعروف عنه أنّه يحلّق حول قبر كلّ مظلوم وينتظر قدوم منتقم ليأخذ لصاحب القبر حقّه.

– سألتها باستغراب: لكن بما أنّ هناك رجلًا عظيمًا قادرًا على الانتقام، لِمَ لا تدعونه ليأتي ويأخذ بثأره؟

– أجابتني الراية: إننا في انتظار العدة الموصوفة بـ ٣١٣ قلبًا مخلصًا لتشتد أركانهم وتتقوّم أعمالهم فإذا حان الوقت، انْتَشرَ عَلَمُه من نفسهِ، وانطقهُ اللهُ عزّ وجل، فيناديه العَلم: «اخرُج يَا وليَّ الله فَاقتُل أعداءَ الله»، وَكذلك سيفه ينطقه اللهُ عزّ وجل فَيستنهضهُ السيف قائلًا: «اخرُج يَا وليَّ اللهِ فلا يحِلُّ لكَ أن تقعُدَ عن أعداءِ الله».

فيخرج ويكون جبرئيل عن يمينهِ، وميكائيل عن يسارهِ وتنزل الملائكة إليه بأنصاره، ثلث منهم على خيول شهب، وثلث على خيول بلق، وثلث على خيول حو، ويكون المولى على فرسٍ أدهمٍ محجلٍ أبلقٍ بين عينيه شمراخ.

- قلتُ والحيرة تغمرني: يا للعجب كيف لسيف ورايةٍ أن ينطقا ويستنهضاه؟!!

- أجابتني بزهو: اِعلم أن الإعجاز يرافقه في كل شيء، إذ إن سيفه هو سيف ذوالفقار المشهور، الذي شق مرحب اليهودي إلى نصفين، ورايتهُ العجيبة ليست من قطن ولا كتان ولا حرير ولا قز، إنما هي من ورق الجنة ورثها من رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.

فاضت عيناي بالدموع شوقًا إلى ذلك الصباح المعطر بقدوم صاحب الراية، بقيتُ أفكّر في ذلك الحوار الشائق المليء بالشجون، وأنا أودّع الإمام عائدًا إلى مدينتي.

وصلتُ إلى المنزل، فاجأني صديقي بزيارةٍ غير متوقعة، شربنا الشاي الساخن قُرب المدفئة، تسامرنا طويلًا وقبل أن يغادر شكرني لمساعدتي له بالقبض على اللص حين سُرق منزله، وقدّم لي صندوقًا أثريًا قديمًا يفوح منه أريج عالق في ذاكرتي، لكنّني لم أعرف كنهه، وما إن فتحتُه حتى غمرتني موجة من الذهول ممزوجة بالشوق والحنين.

كانت راية قبة الإمام الحسين عليه السلام مطويّة ومتربّعة بكامل زهوها في قلب الصندوق.

فتاة في الصدفة

في صباح ربيعيّ طقسه جميل، ونسيمه عليل، أخذتُ أسقي نباتاتي، فانتبهتُ إلى نبتة الـ(بوتس)، لقد كوّنت فروعًا جديدة وأوراقًا برّاقة ذات خضار داكن ممّا زادها كثافةً وجمالًا، رتّبتُ أوراقها وربطتُ بعض أغصانها على جانبي مكتبتي، زادت إشراقة لبلابتي بقربها من الكتب، رفعتُ رأسي فرأيتُ السماء تعجّ بالغيوم المتشابكة بنقاء عبر قبّة الصالة الزجاجية ذات ألوان الطيف السبعة، بعدها أخذتُ أتصفّح مواقع التواصل وأتابع آخر الأخبار، وبينما أرتشف قهوتي المثلّجة لفت انتباهي أحد المقاطع، كان مشهدًا لشرطيّ هندي يقف بباب إحدى المدارس، ويأخذ الحجاب من كلّ فتاة تريد الدخول، فتخلع التلميذة حجابها، في حين تجمهرت مجموعة من الفتيات في جانب، يكسوهنَّ السواد وقد زادهنَّ هيبةً ووقارًا، امتنعنَ عن دخول المدرسة، وجدتُهنَّ مثل حبّات اللؤلؤ التي ترفض أن تخرج من صدفتها، جذبتني إحداهنَّ حيث كانت تحدّق في الشرطيّ بصمت، لكنّ عينيها تتكلّمان بصخب، رأيتُ حدقتيها تتّسعان، فأبحرتُ في عينيها الزرقاوين وغصتُ في عوالم أخرى، كأنّ الزمن يُطوى قافلًا بالرجوع إلى سنين سابقة، وجدتُ نفسي أحدّق في عينيْ امرأة ممدّدة في تابوت، محاطة بهالة من النور، قد حظيت بزيارة

قطب الزمان لها ليصلّي عليها ويدخلها في بيتها الجديد، في الوقت ذاته كان السيّد محمّد باقر والد المرجع الديني السيّد عليّ السيستانيّ ينتقل من مسجد إلى آخر بحثًا عمّن بيمنه رُزِق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، لقد قضى أربعين ليلة أربعاء يقرأ زيارة عاشوراء مع اللعن والسلام ودعاء علقمة .

وفي تلك الليلة الداجية بعد أن خرج السيّد من المسجد، خطفت بصره هالة من السناء تسير داخل الزقاق لتدخل أحد الدور، فلم يملك نفسه فتبعها فرأى الباب مفتوحًا، فدخل المنزل وتكحّلت عيناه برؤية نور البصر ومنجي البشر، خطا صوبه وسلّم على بقيّة الله في أرضه، فردّ عليه السلام بأحسن منه، ثم قال: لِمَ أتعبتَ نفسكَ، ولِمَ هذا العناء والجهد والمشقّة التي بذلتَها من أجل لقائي؟ لو أنّكَ عملتَ بما عملت هذه المرأة لأتيتُ بنفسي إلى دارِكَ لزيارتكَ.

لم يجرؤ السيّد على سؤاله: وما كان عمل هذه المرأة؟ لكنّه بعد قليل سأل أحد الحاضرين عند جنازتها عمّا فعلت لتحظى بهذا التشريف والسعادة التي لا تفوقها سعادة في هذا الزمان..

قال له: إنّها لم تخرج من باب دارها لمدّة سبع سنوات، إذ إنّ الحاكم آنذاك قد منع الحجاب، والنساء المحجّبات حتى إذا خرجنَ في منتصف الليل تعرّضنَ للضرب ونُزع عنهنَّ الحجاب؛ لذا صارت هذه السيّدة الجليلة حبيسة دارها.

رنَّ جرس المدرسة فأعادني إلى واقعنا المرير الذي يندى له الجبين، باتوا ينخرون بالعفاف ثم ينادون بالحرية والتحضّر، خرجت أفواج الفتيات، صدمتني موجة في عين الفتاة وظلّ صوتها يرنّ في أذني وينقلني إلى آماد بعيدة في عوالم غيبيّة تسكنها كائنات تأبى الرزوح والتزلزل، وتعشق السموّ والتحليق، يا ترى بعد ما تنتهي الأزمة في الهند كم جنازة سَيُصَلّي عليها الخلف الصالح؟

عرف الجذور

تساقطت حبّات المطر من السماء في الوقت الذي أخذ صغيري يذرف الدموع، حملتُه وضممتُه إلى صدري قائلةً: وأخيرًا يا حشاشة روحي سمعتُ صوتكَ، ما أشدّ فرحتي بكَ، ما بكَ يا عزيزي تقضي وقتكَ كلّه نائمًا، لِمَ كلّما حاولتُ إرضاعكَ تأبى ذلك؟ لقد درّ اللبن مرّات عدّة وابتلّت ملابسي وهو يُرمى وأنتَ نائم!

ما لي كلّما قلتُ قد تحسّنتَ وبدأتَ ترضع غلبك النوم وبدت عليكَ علامات الضعف؟!

ربما إن أخذتَ قسطًا من النوم ستتحسن صحتك، نَم يا صغيري حصنتكَ برب الناس من شر الوسواس الخناس، حصنتك برب الفلق من شر حاسد إذا حسد.

لّما بدأت أشعة الشمس تنتشر في الأفق، لاحظتُ اصفرارًا سادَ وجهه وبياض عينيه، فغارت ملامحه الملائكية، خارت قواي حتى لم تعد قدماي قادرتان على حملي، أصابتني رعشة في كلّ جسدي، خرجنا أنا ووالده مسرعين به إلى المستشفى، أخذه الطبيب وقال سنجري له التحاليل اللازمة.

مضى الوقت ثقيلًا جدًا، مرّت الساعة كأنّها ألف عام، حتى أخبروني

بأنه مصابُ باليرقان ونسبته عالية جدًا، وإن لم تنخفض فسيبدّلون دمه.

أخذوه منّي ووضعوه في الحاضنة وراحوا يحقنونه بالإبر ويجرون له التحاليل كلّ يوم حتى ازرقّت كفّه الصغيرة، أحسستُ أنّ قلبي قد سقط على الأرض منذ اللحظة التي أخذوه، استحوذ عليّ الخوف، دموعي لم تتوقّف عن الجريان، اسودّت الدنيا في عينيّ، كأنّ المكان قد خلا من الأوكسجين، لم أعد قادرة على التنفّس، وجدتُ نافذة بالقرب منّي فالتجأتُ إليها، في هذه الحالة كأنّ لساني قد توقّف عن النطق، لا أدري بمَن أتوسّل! وبأيّ وِرد ألهج! صدح فؤادي مردّدًا: يا رادّ يوسف على يعقوب، اردد عليّ ولدي سالمًا.

احترق قلبي واحترق الجميع لحرقتي، كلّ صغير وكبير عطف عليّ، سمحوا لي بأن أبقى بجواره هذه الليلة وهو في الحاضنة، وقفتُ فوق رأسه قائلةً: سامحني يا مهجة قلبي، لم أشأ أن تنام في الحاضنة، لم أرغب في أن تشمّ رائحة المستشفى، مهدكَ بانتظارك في البيت.

ذبلت عيناه، فشدوتُ له أبياتًا من الشعر اعتاد سماعها كلّ ليلة قبل النوم، وأنا في هذه الحال وإذا بصوت أمّ تناغي ولدها، دموعها ولوعتها لامست قلبي، رأيتُها واقفة فوق رأس صغيرها الذي كان حاله كحال ابني في الحاضنة وهي تكلّمه وتنشد له أبياتًا من الشعر.

اتّجهت نحوها، أعطيتُها القليل من تربة الإمام الحسين عليه السلام كنتُ قد احتفظتُ بها وقلتُ لها: هذه تربة سيّد الشهداء عليه السلام، فيها الشفاء من كلّ داء.

شكرتني والسرور بادٍ على محياها لمبادرتي، قلتُ لها:

- لقد أحببتُ صوتكِ وأنتِ تناغين صغيركِ.

- فقالت بحرقة ويأس طافح: لقد حملتُ به بعد رحلة انتظار دامت اثنتي عشرة سنة، لكن سرعان ما خطفه المرض منّي، والآن حالته خطرة مثلما ترين قد وضعوه في الحاضنة بين الحياة والموت، منذ حملي به نذرتُه لصاحب الزمان عليه السلام، عذرًا، لقد استرسلتُ بالحديث ونسيتُ أن أسألكِ عن اسم صغيركِ.

شدّني وجهها المُجلّل بالنور للاستمرار بالحديث معها فقلتُ:

ولدي اسمه (محمّد).

قطع حديثنا الطبيب وهو يبشّرنا بظهور نتيجة التحاليل وتماثل الولدينِ للشفاء والسماح لنا بمغادرة المستشفى.

جهّزتُ حقيبتي وحملتُ طفلي، كان قد استعاد لون بشرته الحمراء المورّدة كالتفاحة، قلت لا شك أنَّ وَلدينا قد تعافيا ببركة تربة سيد الشهداء عليه السلام.

انطوت أيامًا عدة، ذات صباحٍ خرجت إلى المتنزه برفقة صغيري وفجأة شرعَ بالمناغاة وهو يرفرف بيديه ورجليه، أدهشني فعله، إنني أول مرة أراه في هذه الحالة، لاحت في الأفق راية لمّا أمعنت صوبها وجدت رجالًا أباة، كأنهم العقبان على خيولٍ مُطهمّة، لم أعرف لمن ينتمون حتى نظرتُ إلى الراية قد خُطَّ عليها: «الرفعة لله». دوى في رأسي أزيز قول الإمام العسكري مخاطبًا ولده الحجة عليه السلام: «يود الطفل في المهد لو استطاع إليك نهوضا». [1]

١- كلمة الإمام المهدي، ص ٤٨٦

مشكاة الحبّ [1]

ذات صباحٍ مسفر عادت أسراب الطيور من هجرتها الطويلة تخفق بأجنحتها فوق القصر تبلّغني بسلامِ الحبيب، خرجتُ بجلبابي الطويل الأسود كالليل أطأ أذياله، تحيطني مجموعة من الجواري، يشير الناس إليّ بالبنان قائلين: انظروا إلى الأميرة، إنّها تتوسّطهنَّ كلؤلؤة نادرة!

افترشت الساحل ودنوت من البحر، وضعتُ يديَّ حول شفتي ثم همستُ في أذن الموج المتلاطم: سلامي إلى الحبيب وبهجة أنواره.

عدتُ إلى القصر ورميتُ بجسدي المنهك على السرير، جاءتني وصيفتي بشراب البرتقال، قلتُ لها: لا رغبة لي بشرب أيّ شيء، لكنّها ظلّت تصرّ عليّ وبقيت واقفة تنتظرني حتى شربتُه عن آخره فأعادت الكأس إلى محلّه، ثم عادت وأخذت تصفّف شعري مسترسلةً بالحديث قائلةً:

- كلّ مَن في القصر قد لاحظ حزنكِ وشحوب وجهكِ يا مولاتي، فعلامَ ذلك أيّتها الأميرة؟ ما الذي تضمرينه؟

١- أول قصة كتبتُها هي مشكاة الحب، نشرتها جمعية المودة والازدهار النسوية في كتاب نساء حول الشمس قبل ثلاث سنوات، وقد أجريتُ عليها تقويمات في هذه المجموعة.

رجال الفيوم ×××××××

أخيه العرش ليزوّجني منه، وما إن صعد حتى حدث العجب العجيب، تساقطت الصلبان من الأعالي فالتصقت بالأرض، وتقوّضت الأعمدة فانهارت إلى القرار، وخرّ ابن أخيه مغشيًا عليه، ثم أعلن الأساقفة عن نحوسة ملاقاتنا الدالّة على زوال النصرانية، وطلبوا إعفاءهم من إقامة المراسيم، فتطيّر جدّي من ذلك وطلب إقامة الأعمدة ورفع الصلبان، وأمر بتزويجي من ابن أخيه الثاني، فلمّا صعد على العرش حدث معه ما حدث مع أخيه، فتفرّق الناس واغتمّ جدّي غمًّا شديدًا.

الحقيقة أنّ السبب وراء حزني يعود إلى أمر آخر حدث في اليوم نفسه، فبعد أن انتهت تلك الحادثة علمتُ أنّ نبيّ الإسلام ﷺ رغب في وصالي واصطفاني من دون النساء لأكون زوجةً لابنه الحسن العسكريّ ﷺ، رأيتُ في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون ﷺ وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي، ونصبوا في موضع عرشه منبرًا يباري السماء علوًا وارتفاعًا، ثم دخل النبيّ، فتقدّم المسيح إليه واعتنقه، فخطبني النبيّ محمّد ﷺ من المسيح وشمعون ﷺ فوافقا على ذلك، فصعد المنبر وزوّجني من الحسن العسكريّ ﷺ وشهد على ذلك الحاضرون، فلما استيقظتُ من نومي كان حُسن جمال الحَسن ﷺ ونوره قد شغفا قلبي حبًّا، ولم أستطع إخبار أحدٍ خوفًا، وصرتُ في كلّ ليلة أنتظر قدومه حتى احترق القصر وكلّ مَن في القصر وقلب جدّي ملك الروم لحرقة قلبي، وسعى الجميع للترويح عني بعد أن ضُرب بمحبّة الحسن ﷺ، امتنعتُ عن الطعام والشراب، استدعى

جدّي أفضل أطبّاء الروم لعلاجي، لكن من دون جدوى، ولّما يئس منهم طلب منّي أن أبوح له بما أريد ليحقّقه لي، كانت سجون الروم غاصّة بالمسلمين في تلك الحقبة بسبب المعارك الدائرة، فطلبتُ منه الإفراج عنهم وتكريمهم، وتعلّلتُ بأنّ ذلك يوجب رضا المسيح فيهب لي الشفاء، وما إن قام جدّي بذلك حتى تجلّتْ علامات التحسّن في صحّتي وتناولتُ قليلًا من الطعام فَسُرَّ بذلك كثيرًا.

وكأنّ طلبي هذا نال رضا سيّدة النساء ﷺ فحنّت على قلبي وأتت لرؤيتي مع مريم العذراء، فعرّفتني السيّدة مريم عليها وأخبرتني أنّها أمّ الحسن، فتعلّقتُ بها وشكوتُ إليها هجر محبوبي، فأخبرتني بالسبب وهو أنّ ولدها لا يزورني وأنا على دين النصارى، وأنّ السيّدة مريم تبرأ إلى الله من ديني، فإن ملتُ إلى رضا الله ﷻ ورضا المسيح ومريم وزيارة الحسن ﷺ لي فعليّ الدخول في الإسلام، وافقتُ على الفور ونطقتُ الشهادتين، فسرّت بذلك سيّدتي وبشّرتني بقرب زيارة الحسن ﷺ لي، استيقظتُ من نومي وغصتُ في أعماق الشوق البعيدة.

انجلت ساعات الغياب وأقبل محبوبي وولّى الهجر، عاتبتُه بحبّ: أهكذا يا حبيبي تجفوني بعد أن شغلتَ قلبي بجوامع حبّكَ؟ فوعدني يومها أن يزورني في كلّ ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في الحقيقة بعد الحلم.

تلك الرؤيا كانت حجر الأساس لبناء قصر الحبّ، الحبّ وما أدراكم ما الحبّ؟ فحاء الحبّ شرطها الحلال، وباء الحبّ شرطها البقاء، فحبيبي الذي تركتُ الدنيا من أجله سأحظى به في الدنيا والآخرة.

ظلّ محبوبي على وعده يأتيني كلّ ليلة ليسقيني من كأس حبّه لقاءً يشفي به ظمأ لهفتي المتلاطمة، لقد قال لي في إحدى الليالي التي زارني فيها في عالم الرؤيا إنّ جدّي سيشنّ حربًا على المسلمين وعليّ أن أتنكّر بزيّ الخدم وألتحق بجيش الروم، لم أنبس ببنت شفة، لكنّني وددتُ لو كان لي جناحان لأطير بهما وأرفرف في سماء الروم منادية: سمعًا وطاعةً لكَ يا بن رسول الله.

نفّذتُ ما أمرني به بكلّ حذافيره، تركتُ أهلي: أمّي وأبي وجدّي، وقصري وخدمي واسمي، خلعتُ لباس الأميرات ولبستُ لباس الجواري من دون أن ترمش لي عين أو أتردّد، فأمره مطاع ليس لأنّه محبوبي، بل لأنّه إمامي، ولو أمرني أن أرمي بنفسي في النار لفعلتُ، انتصر المسلمون على دولة الروم، وأخذوا الجواري أسرى ليبيعوهنَّ في سوق النخاسة، وكنتُ أنا من ضمنهنَّ.

خرجتُ أسيرة مقيّدة بالسلاسل، أُساق إلى سوق النخاسة، أنهكني الجلوس على الناقة من غير وطاء، حتى الشمس هنا مختلفة عن شمس الروم فحرارتها صدعت رأسي، أمّا في الروم فقد كنتُ أنتظرها مرارًا لتهيمن في السماء ويتموّج شعاعها الذهبي على شعر (كسار) جوادي الأسود، حينها كانت تمسك وصيفتي بريشة أكبر طاووس في المملكة تحرّكها يمنة ويسرة لتقيني حرارتها، وتزحزح ذرّات الهواء باعثةً نسيمًا عليلًا يتماوج من حولي، لم تكفّ ذاكرتي عن زخّاتها المتكرّرة لتعيدني إلى مجالس القصور والمواكب المجلّلة المحاطة بجيش من الخدم والحرس إلى

جانب عربتي التي تجرّها الخيول العربية الأصيلة مزيّنة بالذهب والجواهر والورود التي يترك شذاها سطوةً في كلّ مكان.

كلّما أصرّ نخّاس على شرائي كلّما ازددتُ ثقةً وتمسّكًا وانتظارًا، ها قد تحقق قول صادق الوعد، كنتُ على يقين من ذلك، لم أشكّ فيه للحظة، لقد بعث إليّ من ثقاته رجلًا أمينًا، صائنًا للسرّ، مواليًا فقيهًا في علم الرقيق، وحافظًا لدرّة مولاه ليشتريني من النخّاس الذي كان يعرضني للبيع في سوق النخاسة ببغداد، وصلتُ إلى الأيدي الأمينة بعد مسيرة ثلاثين يومًا، أخذني (بشر) إلى مدينة سُرّ مَن رأى، إلى المدينة التي تبعث السرور في قلب كلّ مَن يدخلها، كأنّ ذرّات الهواء التي أستنشقها فيها هيَ نسمات السعادة.

أخذ قلبي يخفق بشدّة، وأنفاسي التقطتها بصعوبة أكبر ممن يلج في ساحات الحرب، ربّما اقتربتُ من سادتي وأولياء نعمتي، إنّها هيبتهم التي تفرض نفسها على عرش قلبي.

وصلتُ إلى الإمام عليّ الهادي أبي الحسن عليه السلام فزال اضطرابي، شعرتُ به كهفًا حصينًا، وملاذًا آمنًا، جلستُ بين يديه فسألني كيف أراني الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانية وشرف أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، أبحرتُ في قاموس الآداب لأنتقي كلمات تليق بمقام التكلّم مع المعصوم، فأجبتُه بخجل: كيف أصف لكَ يا بن رسول الله ما أنتَ أعلم به منّي، أراد أن يكرمني فسألني: أيّهما أحبّ إلى قلبي، عشرة آلاف درهم أم بشرى يزفّها إليّ؟

وكانت البشرى منه هي أمنيّتي، بشّرني بأنّني سألد مولودًا كريمًا يحكم الأرض ليملأها قسطًا وعدلًا بعدما تمتلئ ظلمًا وجورًا.

ها هو الوعد يتحقّق، فلم يكن حلمًا ما رأيتُه في تلك الليلة، بل كانت رؤيا صادقة مثل رؤيا النبيّ يوسف والنبيّ يعقوب عليهما السلام، تركتُ القصر والمُلك وأصبحتُ أسيرة، فأكرموني بجعلي أمًّا لحاكمٍ ليس لدولة الروم أو المسلمين فحسب، بل للكرة الأرضية.

دعا الإمام الهادي عليه السلام أخته السيّدة حكيمة عليها السلام، وما إن دخلت حتى تلقَّفتني مثلما تتلقَّف الأمّ وليدها حين ولادته، عانقتني طويلًا وضمّتني إلى صدرها، حنانها أنساني أيام الأسر وشدّته، غمرتني بحبّها وعطفها، وسُرّت بي كثيرًا، ثم أخذتني إلى منزلها إذ أمرها الإمام أن تأخذني وتعلّمني الفرائض والسنن لأنّني أمّ الحجّة المنتظَر.

بعد أن كانت الجواري يحمنَ حولي صرتُ جاريةً أحوم حول مولاتي السيدة حكيمة عليها السلام حبًّا وكرامةً، فهي السيّدة العالمة، والمربّية التي فاقت جميع المربّيات اللاتي أحضرهنَّ جدّي إلى القصر لتعليمي الآداب والسنن، فهي بنت الرسالة، عاصرت أربعة من المعصومين: والدها الإمام الجواد وأخيها الإمام الهادي وابن أخيها الإمام الحسن العسكريّ وابنه الإمام المهديّ عليهم السلام.

جاء ذلك اليوم الموعود الذي طالما حلمتُ به وانتظرتُه، أتى محبوبي ليزور عمّته السيدة حكيمة عليها السلام، فوقع نظره عليّ من دون الجواري، وأخذ يدقّق النظر بي، كانت نظراته تتلاطم في باطنها وتوحي بشيء غريب، شيء

ما قادر على تغيير كلّ التفاصيل وخلق منظومات متكاملة في آن واحد، ثمّ نظر إلى عمّته الجالسة قرب فناء الدار تعالج اشتباكًا في حبل الدلو المعدّ لاستخراج الماء من البئر، لاحظته فابتسمت وأردف الإمام:

سيخرج منها ولدٌ كريمٌ على الله يملأ به الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

سألتُه سيّدتي: أرسلها إليكَ؟

أجابها بحياء أشدّ من حياء الفتاة: استأذني في ذلك أبي.

ذهبت السيدة حكيمةﷺ إلى أخيها لتستأذنه فبدأها الإمام بالكلام طالباً منها أن تبعثني إلى الحسن ﷺ .

حين شاهدتُ الأعجاز في دقائق الأمور لأهل البيت ﷺ شكرتُ الله إذ اجتباني لأقدم إليهم.

جاءتني السيدة حكيمة ﷺ مسرورةً، زيّنتني وأعادتني مليكة، صارت الدار قصرًا في عينيّ، وهبتني للحسن، جمعت بيني وبينه، أقمنا عندها أيامًا ثم مضينا إلى دار الإمام عليّ الهادي ﷺ، عشتُ أيامًا وردية، أغمض عينيّ وأغفو على نور وجهه، ثم استفيق صباحًا وكأنّ الشمس لم تغب ليلًا ولا نهارًا، حاز كمال الأخلاق وتمام الجمال والجلال والهيبة والوقار، ابتسامته أسرت قلبي، وصوته افتتح كلّ حصون الصمت وأثار في مدني صخب الربيع.

وأخيرًا جاء اليوم الموعود الذي بشّرني به أبو الحسن عليّ الهادي ﷺ إذ أشرقت الأرض بنور ربّها حين وضعتُ مولودي المنتظَر، كان مثل والده وجدّه، نور ساطع أنار ظلام دنيانا وبقدومه عطر الجنّة فاح في منزلي.

لم يكن هناك شيء يكدّر صفو حياتي سوى السلطات الجائرة التي أخذت تضيّق علينا بكلّ ما تملكه من سطوة، حتى جاء ذلك اليوم الذي سادت فيه العتمة ليلًا ونهارًا، لقد رحلت شمسي وفارق نورها داري، غادرت روحه الدنيا لتصعد إلى بارئها تشكو إليه ظلم السلطة الغاصبة، رحل الحسن ﷺ مسمومًا شهيدًا، وخلّف البئر المعطّلة ذا الخمس سنوات ليغيب خوفًا من أن تناله يد الغدر، فتُحرم الأرض والعباد من الشمس إلى الأبد وتنعدم الحياة، وبعد أن كانت الشموس زاهرةً في سُرّ مَن رأى صارت الآن كلّ أرض وسماء تنعى فقدهم، ومع غياب الشموس غابت السعادة وكلّ خضرة وزهرة، صارت أرض سامرّاء صحراء قاحلة، أعلنت أنّها لن تعود إلى زهوها حتى عودة الإمام الغائب، وصرّحت متى ما عاد النور من غيبته فستخرج كلّ خيراتها وثمارها مثلما لم تشهد البشرية مثيلًا له في السابق، وتعمّ بركاتها المشرق والمغرب لتملأ العالم بأسره.

بعد أن طالت يد الغدر الإمام الحسن العسكريّ ﷺ، أخذت السلطات تحوم حول منزلنا وتباغتنا بحملات تفتيشية مؤذية بحثًا عن الوليد المنتظَر الذي بشّرت به جميع الأديان والأنبياء، وبشّر به كلّ الأئمة؛ لأنّه مَن سيحكم الأرض، فخافوا على ملكهم من الزوال وتمادوا بالبحث عن الغائب في دُور الشيعة، وألحقوا الأذى بكلّ مَن يمُتّ إلى الإمام بصِلة، وجرى على مخلّفي أبي محمّد الحسن ﷺ كلّ عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذلّ، وأخذ

الخطـر يحـدق بالمؤمّـل لنـشر الصـلاح، فتحتّـم عـليّ أن أكـون درعًـا حصينًـا وجُنّـةً واقيـةً لإمـام زمـاني أبي صالـح المهـديّ ﷺ؛ فأعلنـتُ عـلى الفـور بـأنّي حبـلى، فاعتقلتني السـلطات وأودعتني في السـجون، فخفّـت بذلـك حمـلات البحـث عـن الطريـد، الشريـد، الفريـد، الوحيـد، وتوافـرت حمايـة عمليـة نسـبية لـه، وخفّـت المضايقـات والاعتقـالات لشـيعته، وطالـت مـدّة حبسي سـنتين، عانيـتُ مـن رقابـة اسـتثنائية وحصـار مؤلم ومضايقـات وإزعـاج عـلى مـدار اليـوم، فتسـلّحتُ بالمقاومـة والصـبر والاسـتقامة، ثـم واصلـتُ المسـير بأعصـاب فولاذيـة إلى أن تبـيّن لهـم بطـلان الحمـل، وشَـغلهم عـن أمـري مـوت شـخصيات معروفـة، فنجـوتُ مـن قبضتهـم.

أنـا الآن راحلـة لأرقـد بجانـب محبـوبي أبي محمّـد ﷺ وعمّتـه السـيّدة الجليلـة حكيمـة ﷺ منتظـرةً أن تـأتي خمسـون امـرأة لتوقظنـي وتخـبرني عـن بنائهـا لنفسـها وهجرهـا للدنيـا واسـتعدادها لنـصرة قطـب الزمـان لإقامـة دولـة الحـقّ.

جنون الألمعيّ

أخذ يجوبُ الشوارع بملابسه المهترئة وشعره الكثّ ونظراته التائهة، كلّما مرّ بزقاق التفّ حوله الصبية يصفّقون ويقفزون وينادون: عليّ المجنون، عليّ المجنون...

كان يأكل ممّا يتصدّق به المارّة وينام في الأزقّة، حتى بات أمره محيّرًا، فهو مع كلّ أذان يدخل المسجد وحيدًا، وبعد وقت قصير يخرج، ظلّ هذا ديدنه إلى أن انتبه لأمره أحد الباعة، فحزم أمره وقرّر أن يراقب المجنون ليعلم ما يصنع في المسجد.

سار خلفه خفيةً إلى أن دخل المجنون المسجد، لكنّه بدأ يصلّي صلاة الشخص المعافى، حتى إذا ما رآه أحد في حال الصلاة قال عنه إنّه لن يُجنّ حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط.

قرّر البائع أن يواجه المجنون في أثناء صحوته؛ لأنّه ما إن يخرج من المسجد فستفوت الفرصة، ويعود عليّ إلى حاله، فذهب وأقسم عليه بأشدّ الأيمان والمواثيق، وأصاب منه الوتر الحسّاس قائلًا:

- أقسمُ عليكَ بالذي جُننتَ من أجله إلّا أخبرتني بقصّتكَ.

-تأوّه المجنون بحسرة كبيرة وقال:

أَرأيتَ في حياتكَ أمًّا فُجعَت بولدها فولهت؟

أرأيتَ رجلًا خانه صديقه وطعنه في ظهره فجُنّ لذلك؟

سأخبركَ بما يثير العجب.. فأنا ولهان..

شعورٌ عظيم طاغٍ لفَقد مَن نحبّ مع تمنّي رؤيته والاجتماع به..

اشتدَّ حزني حتى ذهب عقلي، وتحيّرتُ من شدّة حبّه..

-سأله البائع باستغراب: مَن الذي يستحقّ أن تُجنّ من أجله؟!

-أنا وَلِهٌ إلى الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأمّ البرّة بالولد الصغير، مفزع العباد في الداهية، الإمام المُطهّر من الذنوب والمُبرّأ من العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، أنا الولهان إلى المُحِلّ حلال الله، المحرّم حرامه، المقيم لحدوده، الذابّ عن دين الله، الداعي إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

اغرورقت عينا الواله بالدموع، فمسّد البائع على رأسه قائلًا:

نحن التائهون في دوّامة الحياة نبحث عن بصيص من كوّة بعيدة تنير عتمة قلوبنا، كُلّي آذان صاغية لكَ فاكمل حديثكَ من فضلكَ.

-تصاعدت من أحشائه غصّة مكتومة فأردف:

أنا المجنونُ الذي يجوب الشوارع متفقّدًا أثر وارث الحسن والحسين عليهما السلام، أصلّي في المساجد باحثًا عن تمام الصلاة والزكاة، والحجّ والجهاد، آكل في الشوارع من بقايا طعام صدقات الأطفال باحثًا عن موفّر الفيء والصدقات، والماضي للحدود والأحكام، ومانع الثغور والأطراف، أنا الذي كنتُ أبصر الشمس التي خلف السُحُب، لكنَّ عيني خانت العهد بذنبٍ فَحُرِمت رؤية المحبوب، وأُقصيتُ عن اللقاء، فصرتُ الواله المجنون.

بعينيه الحقّ آسن

كانت العيون شاخصةً مذهولةً تترقّب حدثًا سيغيّر العالم، وسيعمّ به العدل الذي لم نذقه يومًا، لكنّنا نعلم أنّه أحلى من الشهد وأليَن من الزبد وأزكى من المسك.

مرّت الأيام والسنون الطوال العجاف، وجيلًا بعد جيل يتناقلون العلامات الحتمية التي تسبق الوقع من روايات صحيحة السند.

وجاء الوقت الذي أخذت العلامات تتوالى فيه تباعًا، إذ عمّ أرجاء المعمورة صوت مُنادٍ من السماء: ألا إنّ الحقّ في عليّ بن أبي طالب ﷺ وشيعته...

استيقظ في إثره النائم وفزع اليقظان، بعدها سُمع صوت يدعو إلى شخص آخر.

تداول الجميع الخبر فلقد سمع النداء جميع سكّان الأرض كلٌّ بلغته، وافترقت بعض العوائل، كلّ منهم يتبع مَن يهواه إذ يرى الحقّ معه، أمّا أنا فلأنّني كنتُ قد سمعتُ سابقًا من حكيم القرية أنّ المنادي الأول سيكون هو جبرائيل، والثاني إبليس، لم يلتبس عليّ الأمر.

انتشر الخبر أنّ وارث عليّ ﷺ قد ظهر عند بيت الله الحرام وهو ينادي:

« ألا ومَن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث، فها أنا ذا آدم وشيث، ألا ومَن

أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام فها أنا ذا نوح وسام، ألا ومَن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل، إلى أن قال: ألا ومَن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون، ألا ومَن أراد أن ينظر إلى محمّد وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، فها أنا ذا محمّد صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ...».[1]

أردتُ أن أسير إليه لأنصره، لكن منعني عن ذلك سلاسل مربوطة بقدمي بإحكام، التفتُّ يمينًا وشمالًا علّ أحدهم يساعدني، رأيتُ رجلًا بجانبي لكنّه كان أحوج منّي إلى المساعدة، فالسلاسل تقيّده من رأسه إلى قدمه وهو ملتحف بها كالتحاف الطفل بالقماط، أمعنتُ النظر في وجهه فعرفتُه، كم كان يملأ بطنه من أموال اليتامى، بعدها رأيتُ رجلًا آخر كان قد أصابه الرمد، نظرتُ إلى وجهه، كان يمنع الحقّ المعلوم للسائل والمحروم، وآخر كان لديه خلل في عقيدته، وآخر كان يأكل لحم أخيه ميتًا، وكلّ منهم مقيّد بلون مختلف عن الآخر، سمعتُ أحدهم يصرخ قائلًا: التوبة، التوبة، فأجابه صوت: الآن وقد أُغلقت أبواب التوبة؟! هيهات: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.[2]

ظللتُ أحاول السير جاهدًا، لكن قواي خارت ولم تُعنّي، كادت شعلة عزيمتي أن تخمد، لكن ارتسمت أمامي ابتسامة حكيم القرية وهو يقول لي:

١- مكيال المكارم، ج١، ص١٥٤

٢- سورة الأنعام، آية ٢٨

رجال الغيوم ×××××××

أجابه الناس: كلا، كلّنا نعلم أنّ هذين الشخصين هما المدفونان بجنب الرسول ﷺ فقط.

أمر مهديّ آل محمّد ﷺ نقباءه بنبش قبرهما وإخراج جسديهما، فلمّا أخرجوهما وجدوهما غضّينِ طريّين لم يشحب لونهما ولم يتغيّر خَلقهما فأمر ﷺ برفعهما على دوحة يابسة نَخِرة وصلبهما عليها، ولمّا فعلوا ذلك عادت الحياة إلى الشجرة وأورقت وطال فرعها.

قال المرتابون من أهل ولايتهما: هذا والله الشرف حقًّا، لقد فزنا بمحبّتهما.

بعدها نادى منادي المهديّ ﷺ: كلّ مَن أحبّ صاحبيْ رسول الله وضجيعيه فلينفرد جانبًا، فانقسم الناس قسمين، ثم عرض الإمام على مواليهما البراءة منهما فقالوا له: أنتبرّأ منهما الساعة وقد رأينا ما رأينا من طراوتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما؟! بل نتبرّأ منكَ.

عندها أمر الإمام ﷺ بريح سوداء هبّت على مواليهما وجعلتهم كأعجاز نخل خاوية، ثم أمر بإنزال صنمي قريش، فأنزلوهما من الشجرة ثم أحياهما الإمام بإذن الله وبعدها قصّ عليهما أفعالهما وكلّ ظلم وجرم ارتكباه، كإشعال النار بباب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ﷺ لإحراقهم، وضرب الزهراء ﷺ بالسوط ورفس بطنها وإسقاط محسنًا، وسمّ الحسن وقتل الحسين ﷺ وذبح أطفال الحسين ﷺ وبني عمّه وأنصاره، وألزمهما ذلك فاعترفا به ثم صلبهما على الشجرة، وأمر نارًا

خرجت من الأرض فأحرقتهما والشجرة، ثم أمر الرياح فنسفتهما في اليمّ نسفًا [1].

قلتُ بملء فمي: لو لم يرد فيهما سوى قول الإمام الحسين ﷺ في يوم عاشوراء: «...قتلني فلان وفلان»، لكفى لإجراء الحدّ عليهما.

توقّف تساقط الثلوج، تنفّس الصباح وفَردت الشمس أشرعة ضيائها على أرض المدينة، أخذتُ أطيل النظر إلى قبر الرسول ﷺ وأقول في نفسي: هذا هو المكان الذي سيظهر فيه، ليس عجيبًا إن تخيّلت هنا تحقّق وعد الأنبياء الذي قصّه عليّ حكيم القرية.

---

١ – قال الإمام الرضا ﷺ: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا»

الله ولي التوفيق

المراجع

القرآن الكريم

١. إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، الشيخ علي الحائري.

٢. الإمام المهدي في بحار الأنوار، للمجلسي، إعداد الشيخ ياسر الصالحي.

٣. الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، السيد محمد كاظم القزويني.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي.

٥. السيدة نرجس مدرسة الأجيال، مرتضى الشيرازي.

٦. صحيح مسلم.

٧. الصحيفة المهدية، السيد مرتضى مجتهدي.

٨. الغيبة، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

٩. الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني.

١٠. الكافي للكليني.

١١. كلمة الإمام المهدي، السيد حسن الشيرازي.

١٢. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق.

١٣. المرابطون في زمن الغيبة الكبرى، السيد مرتضى الشيرازي.

١٤. مقتل الحسين للخوارزمي.
١٥. مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، محمد تقي الموسوي الأصفهاني.
١٦. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، ميرزا حسين النوري الطبرسي.
١٧. وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام، محمد تقي الموسوي الأصفهاني.
١٨. يوم الخلاص، كامل سليمان.

فهرس

الآية	٣
الإهداء	٤
شكر وتقدير	٥
دروب سكرية	٧
مسكٌ قابِل	١٠
بوح اللهيب	١٥
الحقيقة والسراب	١٨
مدينة العميان	٢٣
الكبريت الأحمر	٢٦
رجال الغيوم	٣٢
مخاض شجرة	٣٥
أراجيز خفّاقة	٤١
فتاة في الصدفة	٤٥
عزف الجذور	٤٨
مشكاة الحبّ	٥١
جنون الألمعيّ	٦١
بعينيه الحقّ آسن	٦٣
المراجع	٦٩